قصة يونس عليه السلام في القرآن الكريم

دراسة بيانية في المباني والمعاني

إِعْدادُ:

د. أسامة عبد الوهاب حمد الحياني

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك في كلية التربية – الجامعة العراقية.

د. ماجد ياسين حميد الدليم

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد في كلية التربية – الجامعة العراقية.

المستخلص

اشتمل البحث على مقابلةِ ألفاظِ قصة يونس عليه السلام بنظائرها، وبيَّن روعة الأسلوب ودقة التعبير القرآني، وأثر بنية الكلمة التي استُعملت فيها، مع دراسةِ التحولات اللفظية في الخطاب القرآني في هذه القصة، وأسرار هذه التحولات على دقة المعنى وبيانه.

ثمَّ دَرس بعضَ الآياتِ التي يُوهم ظاهرها بوجود تعارضٍ أو اشتباهٍ في ألفاظها مستعينًا بالله تعالى وبِما أفاض الله تعالى على بعضٍ من المفسرينَ في حَلِّ مُشْكِلِ هذه الآيات.

كلمات مفتاحية: قصة يونس، دراسة بيانية، العدول في بنية الكلمة، مُشْكِلُ القصة.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن معجزًا بالبيان، وتحدى به الثقلين من إنس وجان، فلم ينهضوا بمعارضته على مدى السنين والأعوام، والصلاة والسلام على من جاء بالفرقان، فهدى الله به القلوب والأذهان، ونجاها من الشرك والأوثان، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، وعلى آله وصحبه أهل التقى والرضوان.

أما بعدُ:

فلا ريب أنَّ بدائع القرآن وروائعه لم تنقضِ ولن تنقضي؛ لأنَّه معجزة الرسول ﷺ الخالدة، فقد أودع الله تعالى فيه كثيرًا من أسرارهِ وَحِكَمه وأنوارهِ، ولذا ما زالت الدراساتُ في القرآن العظيم تتوالى لبيانِ هذه الأسرار، ومِن هذه الدراسات التي عكفَ عليها الباحثون تحقيقًا وتأليفًا: "الدراسات البيانية" التي تُظْهِر روعةَ نَظْم القرآنِ وَجَمال ألفاظِهِ ودقة معانيه.

ودراسةُ القصصِ القرآني يتفرع عنها فنون أدبية شتى: بلاغية، وأسلوبية، ولغوية، ونحوية، فمعينَ هذا الكتاب العظيم لن ينَضب؛ لذلك وَبعد قراءةٍ متأنيةٍ لمتشابه القصص القرآني وَجدتُ أنَّ أسئلةً كثيرةً يمكن أنْ تثارَ حول قصص القرآنِ في بعض سوره الكريمة.

وَقدْ وقع اختياري بفضل الله تعالى على قصةٍ وَردتْ في ثلاثةِ مواضعَ مِن القرآن الكريم، وهي "قصة يونس عليه السلام" وسأتعرض في هذا البحث لمقابلةِ ألفاظِ هذه القصة بنظائرها من القصص الأخرى، وأُجلِّي الفرق بين هذه ونظائرها، وأُبيِّن روعة الأسلوب ودقة التعبير القرآني، وأثر بنية الكلمة التي استُعملت فيها، مع دراسةِ التحولات البنيوية واللفظية في هذه القصة،

وأسرار هذه التحولات على جمالية النظم القرآني.

ثمَّ أدرسُ بعضَ الآياتِ التي قد يُوهِم ظاهِرُها وجود تعارضٍ أو اشتباهٍ في ألفاظها مستعينًا بالله تعالى وبِما أفاض الله تعالى على بعض المفسرينَ في حَلِّ مُشْكِلِ هذه الآيات، وإنْ لمْ أجد حلاً اجتهدت رأييَ على وَفْق قواعد العربية والبَيان، فإنْ أصبتُ فبتوفيق مِن الله تعالى وَكَرمه، وإنْ أخطأتُ فمن نفسي، وعذري في ذلك أنِّي لم أدخر جهدًا في محاولة الوقوف على السرِّ البياني في هذه الألفاظ القرآنية.

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث في الإجابة عن التساؤلات الآتية:

١- لماذا وصف الله تعالى يونس عليه السلام بقوله: "مكظوم"؟ في قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [سورة القلم: ٤٨]؟ بينما عدل عن هذا الوصف مع يعقوب عليه السلام فقال تعالى: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [سورة يوسف: ٨٤]؟

٢- لِمَ وصف الله تعالى يونس عليه السلام بقوله: ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٢]؟، وقال تعالى عن فرعون: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [سورة الذاريات: ٤٠]؟، فما وجه إطلاق هذا الوصف – مليم– على نبي من أنبياء الله تعالى وكذلك على فرعون؟

٣- لماذا ذُكِّرتْ النعمة في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ﴾ [سورة القلم: ٤٩]؟، ولم يقل: "تداركته" مع أن لفظ النعمة مؤنث؟

٤- ما سبب وصف يونس عليه السلام في سورة الأنبياء بـ"ذي النون"؟ بينما وصف يونس عليه السلام في سورة القلم بـ "صاحب الحوت"؟

٥- قال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [سورة الصافات: ١٤٧]، فهل هناك تردد في عدد المرسل إليهم بدلالة "أو"؟ وما توجيه ذلك بما يتلائم مع امتناع الشك في حق الله تعالى؟

٦- ما السر البياني في اختيار كلمة (سقيم) في يونس ولم يقل (مريض)؟

٧- لم بني الفعل "نبذ" للمجهول في سورة القلم حيث قال: "لَنُبِذَ بالعراء"؟ وبني الفعل نفسه للمعلوم في سورة الصافات في قوله تعالى: "فَنَبَذْنَاهُ بالعراء"؟

هذه الأسئلة وفي البحث أكثر منها بيِّنت أجوبتها مفصلة منثورة في هذه الصفحات.

أهداف البحث:

١- دراسة بعض الألفاظ الوجيزة التي تدل على معانٍ كثيرة وأثرها في تطور القصة وتسلسل أحداثها.

٢- تبيين الظواهر الأسلوبية في القصة القرآنية ولاسيما ظاهرة العدول في بنية الكلمة سواء الإسمية أو الفعلية.

٣- معرفة السر البياني في تكرار قصة يونس عليه السلام بألفاظ متنوعة إذ يفصح هذا التكرار عن روعة الأسلوب وكمال إعجازه وقوة عرضه.

٤- إدراك دقائق الفروق اللغوية في اختيار ألفاظ القصة القرآنية وبيان أثر هذه الفروق على المعنى.

٥- بيان ما ظاهره التعارض والاشتباه في بعض الآيات القرآنية الواردة في قصة يونس عليه السلام.

أسباب اختيار الموضوع:

١- الوقوف على الصورة الفنية والدلالية لظاهرة العدول من صيغة إلى أخرى.
٢- بيان أثر الفروق اللغوية في التعبير القرآني للقصة.
٣- إبراز وجه من وجوه إعجاز القرآن البياني المتعددة.

الدراسات السابقة:

لم أعثر -بحسب علمي- على دراسة مستقلة تناولت موضوع العدول في بنية الكلمة – أي الصرفي- في ألفاظ قصة يونس عليه السلام وإن كانت هذه الظاهرة قد درست في بابها اللغوي في أطروحة دكتوراه بعنوان "العدول الصرفي في القرآن الكريم" – دراسة دلالية-، للدكتور هلال علي محمود الجحيشي، في كلية الآداب، جامعة الموصل، سنة ٢٠٠٥م. إلا أنها لم تبحث المفردات التي بحثتها ما خلا مفردة "كظيم" و "مكظوم" لكنها لم تجلِ الفرق بينهما، واكتفى الباحث بنقل دلالة كظيم مع يعقوب عليه السلام، ثم إن هناك بعض الموضوعات التي لم يعالجها المفسرون بشكل واضح، والجديد في هذا البحث أن هذه الموضوعات والإشكالات قد بينتها مستعرضا أقوال العلماء فيها فحللت مُشْكِلها واخترتُ أرجح الأقوال في بيانها على وفق قواعد العربية.

منهجية البحث:

ستسير هذه الدراسة وفق المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك بتتبع مفردات قصة يونس عليه السلام في القرآن الكريم والوقوف عند كل مفردة وأثر السياق الذي جاءت به، ووظفنا معاني الأبنية في العربية في انتقاء هذه

الألفاظ، وكان عمدتنا في البحث مصادر متنوعة من التفسير والبيان واللغة، حيث أظهرنا شذرات بيانية دقيقة بدراسة مقارنة مع مفردات أخرى جاءت بسياق مختلف. ثم عرضنا لمعاني مشكلة بعد إدراج آراء العلماء وتحليلها ومناقشتها ثم رجحنا أظهر الأقوال في ذلك بحسب قواعد العربية والاجتهاد المنضبط.

خطة البحث:

وقضت خطة البحث أن يشتمل على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

أما المبحث الأول فتضمن العدول في بنية الكلمة في مفردات قصة يونس عليه السلام، وقسمته على خمسة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم العدول في بنية الكلمة.

المطلب الثاني: العدول عن صيغة (أفعل) إلى (فعّل): أنجى، ونجّى.

المطلب الثالث: العدول عن صيغة (فعيل) إلى صيغة (مفعول): كظيم، ومكظوم.

المطلب الرابع: العدول عن البناء للفاعل إلى البناء للمفعول: نَبذ، ونُبذ.

المطلب الخامس: العدول عن التأنيث إلى التذكير: تداركته، تداركه.

وأما المبحث الثاني فتضمن دقة انتقاء الألفاظ في قصة يونس عليه السلام، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اختيار الأسماء: يونس، وذا النون، وصاحب الحوت.

المطلب الثاني: اختيار سقيم على مريض.

المطلب الثالث: اختيار الغم على الكرب.

المبحث الثالث: معانٍ مشكلة في قصة يونس ﷺ، واشتمل على أربعة مطالب:

المطب الأول: دلالة: (أو) في قوله تعالى: (أو يزيدون).

المطلب الثاني: دلالة (مغاضبا) في قوله تعالى: (إذ ذهب مغاضبا).

المطلب الثالث: دلالة (نقدر) في قوله تعالى: (فظن أن لن نقدر عليه).

المطلب الرابع: دلالة (وهو مليم) في إطلاقها على يونس ﷺ، وعلى فرعون.

وأنهيت البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي وصلت إليها

ثم أتبعت البحث بفهرس للمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في كتابة البحث.

والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه، وأن ينفع به، إنه سميع قريب مجيب.

المبحث الأول: العدول في بنية الكلمة في مفردات قصة يونس عليه السلام

إنّ موضوع العدول من الظواهر الأسلوبية التي تدخل ضمن مباحث المتشابه اللفظي الذي يرد في مواضع مختلفة من النص القرآني، كتغيير حرف، أو حركة، أو وزن، أو حذف، أو ذكر، وغير ذلك، وقد تناول المفسرون بعضا من هذه الظواهر الاسلوبية مستنبطين منها أسرارا بيانية كثيرة، وقد برع فيها غير واحد من العلماء كالزمخشري والفخر الرازي والآلوسي وغيرهم. لذا سنتعرض في هذا المبحث لظاهرة العدول في بعض الألفاظ القرآنية الواردة في القصص القرآني.

والعدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك، ولا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطلع على أسرارهما، وفتش عن دفائنهما، ولا تجد ذلك في كل كلام، فإنه من أشكل ضروب علم البيانِ وأدقها فهماً وأغمضها طريقاً[١].

المطلب الاول: مفهوم العدول في البنية

قبل الشروع في موضوع العدول في البنية في التعبير القرآني يحسن بنا تعريف هذه الظاهرة الأسلوبية الدقيقة، فنقول:

لفظ (عدل) عند أهل اللغة له معنيان:

الاول: الاستقامة. ومنه قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [سورة الشورى: ١٥]، ويتعدى بحرف الباء.

(١) المثل السائر، لابن الأثير، ٢/١٢.

الثاني: الميل عن قصد. ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١]، ويتعدى بحرف الباء وحرف عن، تقول: عدل عنه، اذا مال وتركه، ويتعدى بنفسه، تقول: عدلت الشيء إذا أملته.

قال ابن فارس مشيرا إلى هذين المعنيين: (عَدَلَ) العين والدال واللام أصلان صحيحان، لكنَّهما متقابلان كالمتضادَّين: أحدُهما يدلُّ على استواء، والآخر يدلُّ على اعوجاج.

فالأول العَدْل من النَّاس: المرضيّ المستوِي الطّريقة. يقال: هذا عَدْلٌ، وهما عَدْلٌ. والعَدْل: نقيض الجَوْر، تقول: عَدَل في رعيته. ويومٌ معتدل، إذا تساوَى حالا حرِّه وبَرْدِه.

والثاني: فيقال في الاعوجاج: عَدَل. وانعدَلَ، أي انعرَج[١].

وقال الخليل: العِدْلُ أحدُ حِمْلَي الجَمَل لا يُقالُ إلاَّ لِلحمل وسمّي عِدْلاً؛ لأنّه يُسَوَّى بالآخر بالكيل والوزن، والعِدلان: الحملان على الدّابّة من جانبين وجمعه: أعْدالٌ، عُدِلَ أحدهما بالآخر في الاستواء كي لا يرجح أحدهما بصاحبه، والعَدْلُ أن تَعْدِلَ الشيء عن وجهه فتميله[٢].

وقال الأزهري: والعَدْل: الاستقامة. يقال: فلان يَعدِل فلاناً أي يساويه. وإذا مال شيء قلت: عَدلتُه أي أقمتُه فاعْتَدَلَ أي استقام[٣].

وممّا تقدم تبيّن أنَّ العدول هو ميل منضبط مقصود يراد به التوسط والاستواء.

---

(١) مقاييس اللغة، ٤/٢٤٦ – ٢٤٧.

(٢) العين، للخليل، ٢/٣٩.

(٣) تهذيب اللغة، ٢/١٢٤.

مفهوم العدول عند أهل البلاغة:

وأما مصطلح العدول عند البلاغيين فإنهم يسمونه "الالتفات"، قال الزمخشري: الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم، لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، وقد تختص مواقعه بفوائد[١].

وقال ابن الأثير: الالتفات هو العدول من صيغة إلى صيغةٍ كالانتقال من خطاب حاضر إلى غائبٍ، أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل ماض إلى مستقبلٍ، أو من مستقبل إلى ماضٍ، أو غير ذلك[٢].

وقال أبو هلال العسكري عند كلامه عن الفرق بين كلمتي (الرحمن) و (الرحيم)، "إن (الرحيم) مبالغة؛ لعدوله، وإن (الرحمن) أَشدُّ مبالغة؛ لأنه أشدُّ عُدولاً"[٣].

ويبدو أن مصطلح (الالتفات) هو المشهور في كتب البلاغة، فاستعمال مصطلح (العدول) جاء تفسيرا للالتفات.

ولعل أبرز تعريفات الأسلوبيين وعلماء اللسانيات للعدول القول بأنه: "الخروج عن اللغة النفعية إلى اللغة الإبداعية"[٤]. أي هو الخروج عن المستوى المعتاد في إفادة المعنى إلى المستوى الفني، فالمستوى المعتاد

(١) الكشاف، ١/١٤.

(٢) ينظر: المثل السائر، ٢/٣.

(٣) الفروق اللغوية، ص٢٥١.

(٤) البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب: ص ٧، ٢٤٨.

يمثل النظام أو الأصل اللغوي، والمستوى الفني يمثل الأسلوب البلاغي[(١)].

والتحول في البنية أو العدول من صيغة إلى أخرى غايته الإتيان بنكتة بلاغية؛ لأن العدول عن مقتضى الظاهر من غير نكتة تقتضيه خروج عن تطبيق الكلام لمقتضى الحال[(٢)].

وقد يستعمل القرآن الكريم في موضع ما صيغة معينة ثم يعدل عنها في مكان آخر بحسب ما يقتضيه السياق والمعنى.

ومن هذا المنطلق البلاغي درس الباحثون حروفا وألفاظا وجُمَلا وحاولوا الوصول إلى بعض من هذه الأسرار البلاغية في القرآن الكريم، لذا سأدرس في هذا المبحث تحولات بنية بعض المفردات في قصة يونس عليه السلام لبيان دقة التعبير وبراعة الأسلوب القرآني.

فقد ذُكر يونس عليه السلام ست مرات في القرآن الكريم، أربعًا منها باسمه الصريح في سور: النساء، والأنعام، ويونس، والصافات، وذكر بالوصف في موضعين حيث سمَّاه الله بـ"ذي النون" في سورة الأنبياء، وبلفظ "صاحب الحوت" في سورة القلم[(٣)].

---

(١) ينظر: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، د. عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي: ص ١٤١.

(٢) ينظر: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، للعباسي: ١/١٨٠.

(٣) ينظر المعجم المفهرس، ص٣٧٥. إن قصة يونس عليه السلام وردت في سورة الأنبياء والصافات والقلم، وفي سورة يونس ذكر الله تعالى قوم يونس بآية واحدة، أما المواضع الأخرى فجاء الاسم دون ذكر القصة، كما في سورة النساء: ١٦٣، والأنعام: ٨٦، ويونس: ٩٨.

وفيما يأتي مقاطع السور التي وردت فيها قصة يونس عليه السلام:

١- ذكرت قصة يونس عليه السلام في سورة الأنبياء في آيتين اثنتين وردتا في سياق ذكر محن بعض الأنبياء –عليهم السلام– واستجابة الله تعالى لهم بعد طلبهم الدعاء، وخصت هاتان الآيتان محنة يونس عليه السلام وهو في بطن الحوت، واستغاثته بالله تعالى واستجابة الله له قال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [سورة الأنبياء:٨٧ – ٨٨].

٢- وردت قصة يونس عليه السلام في سورة الصافات بعشر آيات من القرآن الكريم، وأشارت الآيات إلى محنة يونس عليه السلام عندما غادر قومه وألقي من السفينة والتقمه الحوت وتسبيحه لله في بطن الحوت، وطرحه الحوت على الشاطئ وأنبت الله عليه شجرة يقطين وأعاده إلى قومه فوجدهم مؤمنين(١)، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٣٩ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ١٤٠ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ١٤١ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ١٤٢ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤ ۞ فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ١٤٥ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ١٤٦ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ١٤٧ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ١٤٨﴾ [سورة الصافات: ١٣٩ – ١٤٨].

٣- وردت قصة يونس عليه السلام في سورة القلم في ثلاث آيات وفيها إشارات سريعة لمحنة يونس عليه السلام وذلك في سياق توجيه رسول الله محمد ﷺ إلى الصبر لحكم الله دون ضجر ودون أن يستعجل، ونهيه عن التشبه

(١) ينظر: روح المعاني، ٢٣/١٨٦.

يونس عليه السلام[(١)]، قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة القلم ٤٨ – ٥٠].

المطلب الثاني: العدول عن صيغة (أفعل) إلى (فعّل): أنجى، ونجّى.

ذكر الله تعالى نجاة يونس عليه السلام في سورة الأنبياء فقال: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة الأنبياء:٨٨]، فاستعمل الفعل المُضعَّف العين (نجَّيناه)، بينما استعمل مع موسى عليه السلام الفعل المبدوء بهمزة النقل "أنجيناه"، وفي ذلك نكتة بلاغية بديعة.

والفرق بين هذين المعنيين يتأتى من خلال التركيب البنيوي لهذين الفعلين، فبناء (فعّل) يفيد التكرار والتمهل غالبا بشرط ألا توجد قرينة تعارض ذلك نحو: (قطّع وكسّر وفتّح وحرّق وسعّر)، ومن مقتضيات التكرار والتمهل في الحدث استغراقُ وقت أطول، وأنه يفيد تلبثا ومكثا، فـ (قطّع) يفيد استغراق وقت أطول من (قطَع)، وفي (علّم) من التلبث وطول الوقت في التعلم ما ليس في (أعلم)، تقول: (أعلمت محمدا خالدا مسافرا) وتقول: (علمته الحساب)، ولا تقول (أعلمته الحساب)[(٢)].

والملاحظ أن القرآن الكريم كثيرا ما استعمل (نجّى) للتلبث والتمهل في التنجية، ويستعمل (أنجى) للإسراع فيها. فإن (أنجى) أسرع من (نجّى)

---

(١) ينظر: روح المعاني: ١٢٠/٣٠.

(٢) ينظر: بلاغة الكلمة، فاضل السامرائي: ص٦٢.

في التخليص من الشدة والكرب، وقد اجتمع الفعلان المعديان بالتضعيف والهمزة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [سورة البقرة: ٤٩ – ٥٠]، فإنه لما كانت النجاة من البحر تقتضي الاسراع وعدم التمهل استعمل (أنجى) فقال: ﴿فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ بخلاف البقاء مع آل فرعون تحت العذاب؛ فإنه استغرق وقتا طويلا ومكثا فاستعمل له (نجّى)[١].

وقال ابن عاشور: وأما قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ [سورة الأنبياء: ٨٨]، فالنجاة وقعت حين الاستجابة إذ الصحيح أنه ما بقي في بطن الحوت إلا ساعات قليلة[٢]. وقد وردت أقوال كثيرة للسلف في مقدار مكث يونس عليه السلام، فقيل: ثلاثة أيام، وقيل: سبعة أيام، وقيل: بقي أربعين يومًا، وقيل غير ذلك، وقال ابن كثير: بعد إيراده الأقوال: "والله أعلم بمقدار ذلك"[٣].

أقول وفي كلام ابن عاشور نظر، فالواجب التفريق بين النجاة من بطن الحوت، والنجاة من الغم، فكونه في بطن الحوت جزء من الغم، وإلا فإن

---

(١) ينظر: بلاغة الكلمة: ص٦٢ -٧٢.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ٩٧/١٧. إن يونس عليه السلام لم يرد في تحديد مكثه في بطن الحوت نص صريح في الكتاب والسنة وورد في العهد القديم أنه بقي في بطن الحوت "ثلاثة أيام وثلاث ليال" ونحن لا نصدقه ولا نكذبه عند عدم وجود ما يعارضه كما هو الحال في الإسرائيليات. ينظر: العهد القديم، سفر يونان، الإصحاح الأول، الفقرة (١٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ٣٨/٧ – ٣٩.

فترة الغم أطول من ذلك، فهي تتضمن خروجه مغاضباً من قومه، وبقاءه في بطن الحوت، وإلقاءه في العراء. وطول مدة الغم يتناسب مع دلالة صيغة (نجّى) بالتضعيف.

ويدل كذلك على طول المدة استعمال حرف العطف الواو بدل الفاء كما هو الحال في قصة نوح، إذ قال: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ﴾ [سورة الأنبياء: ٧٦]، فتنجيته من الغم عموماً لم تكن تعقب الاستجابة مباشرة.

المطلب الثالث: العدول عن صيغة (فعيل) إلى صيغة (مفعول): كظيم، ومكظوم

قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [سورة القلم: ٤٨].

فعبر الله تعالى بقوله: (مكظوم) بصيغة اسم المفعول وهو وصف ليونس –عليه السلام– بينما نجد القرآن يصف يعقوب –عليه السلام– بلفظ (كظيم)، قال تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [سورة يوسف: ٨٤]، فعدل من صيغة اسم المفعول إلى صيغة "فعيل" وهي من صيغ المبالغة. فما الفرق بينهما؟ ولِم جاءت صيغة "فعيل" في قصة يعقوب –عليه السلام– وصيغة "مفعول" مع قصة يونس –عليه السلام– ؟

والإجابة عن هذا السؤال تستلزم أن نعرف المعنى اللغوي لكلمة "كظم":

قال ابن فارس: (كظم) الكاف والظاء والميم أصلٌ صحيح يدلُّ على

معنىً واحد، وهو الإمساك والجمعُ للشَّيء. ومن ذلك الكَظْم: اجتراع الغَيظ والإمساك عن إبدائه، وكأنَّه يجمعه الكاظمُ في جوفه، قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٤]. والكُظُوم: السُّكوت[١]. وكَظَمَ الرّجلُ غَيْظَه: اجترعه، والكَظْمُ: مَخْرَج النَّفَس يُقال: قد غمّه وأخذ بكَظْمه فما يَقْدِرُ أن يتنفّس أي: كَرَبَه وهو مكظوم كظيم أي: مكروب[٢].

قال الراغب: الكظم: مخرج النفس، يقال: أخذ بكظمه، والكظوم: احتباس النفس، ويعبر به عن السكوت كقولهم: فلان لا يتنفس: إذا وصف بالمبالغة في السكوت، وكظم فلان: حبس نفسه. قال تعالى: ﴿إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ﴾، وكظم الغيظ: حبسه، قال: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٤][٣].

فوصف الله تعالى يعقوب عليه السلام بصيغة المبالغة (كظيم) وهي على وزن (فعيل)، قال الزمخشري: "فهو كظيم" أي: مملوء من الغيظ على أولاده ولا يظهر ما يسوؤهم، وجاء هنا وزن فعيل بمعنى مفعول[٤].

وصيغة فعيل صفة مشبهة دالة على ثبوت هذه الصفة ورسوخها في موصوفها بخلاف اسم المفعول الذي يدل على الانتقال والانقطاع.

وأما وصف يونس عليه السلام بأنه (مكظوم) فقال ابن عطية: أي غيظه في صدره. وحقيقة الكظم: هو الغيظ و"مكظوم" في الحقيقة "كاظم" بصيغة

---

(١) مقاييس اللغة، ٥/١٨٤.

(٢) العين، للخليل، ٥/٣٤٥.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن، ٣/٣٣٥.

(٤) الكشاف، ٢/٤٩٨.

اسم الفاعل، ونحوه قول الشاعر:

وأنتَ مِن حُبِ ميٍّ مضمِرٌ حُزْناً   عاني الفؤادِ قريحُ القلبِ مكظُومُ(١)

وأما وصف "الكظيم" فهو للمبالغة وهو الظاهر اللائق بحال يعقوب أي: شديد الكظم كما قال: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ ولم يَشْكُ يعقوب إلى أحد، وإنما كان يكتمه في نفسه، ويمسك همه في صدره، فكان يكظمه أي: يرده إلى قلبه ولا يرسله بالشكوى والغضب والضجر(٢). ومجيء "فعيل" بمعنى "مفعول" سماعي عند النحاة لا يقاس عليه، قال ابن مالك:

ونابَ نقلاً عنهُ ذُو فعيلِ   نَحوُ فتاةٍ أوْ فتىً كحيلِ(٣)

وقال البقاعي في دلالة مكظوم: أي مملوء كرباً وهماً وشدة وغماً وهو محمول على السكوت ببطنه؛ فهو لا ينطق من شدة حزنه، ومحبوس عن جميع ما يريد من التصرف إلى أن ألجأه سبحانه بذلك إلى الدعاء والتضرع(٤).

ولعل ثمة علاقة بين أحد معاني الكظم وهو حبس الغيظ وبين حبس يونس عليه السلام في بطن الحوت، إذ إن يونس عليه السلام اجتمع عليه حبسان فهو على الرغم من حبسه غيظه مما أهمه من قومه، محبوس ومقيد لا يستطيع الحركة، مكره على المكوث في بطن الحوت.

(١) هو بيت منسوب إلى ذي الرمة، ولم أجده في ديوانه، ينظر: المحرر الوجيز، ٤٠٤/٦، والبحر المحيط، ٢٤٩/١٠، والدر المصون، ٤١٩/١٠، وتفسير اللباب، ١/ ٥٠١٤.

(٢) البحر المحيط، ٣١٤/٦.

(٣) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ٣/ ١٣٨.

(٤) نظم الدرر، ١١٦/٨.

ومما تقدم يظهر أن الفرق بين "كظيم" و"مكظوم" فرق دقيق في دلالة معانيه على المراد، فوصف يعقوب جاء بمعنيين الأول: كظيم جاء بمعنى الكاظم على وزن فاعل أي الذي يمسك حزنه ولا يشكوه لأحد، والمعنى الآخر: كظيم بمعنى مكظوم أي بمعنى المفعول أي مملوء الحزن والغيظ. وأما في سياق يونس فوصفه بمعنى واحد فعبر بـ (مكظوم) أي المملوء الغيظ مما رآه من ظلمات البحر والحوت، فألهمه الله تعالى التسبيح مستغيثا بربه: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٨٧].

ووصف الله تعالى يعقوب عليه السلام بالصفة المشبهة "كظيم" لطول فراقه لولده يوسف عليه السلام، إذ تركه سنين طوالاً، أما وصف يونس عليه السلام بـ "مكظوم" فكان لقصر مدته مقارنة بيعقوب عليه السلام؛ لأن تسبيحه الذي نجا بسببه كان متبوعا بالفاء المفيدة للتعقيب من غير مهلة طويلة.

وكلام العلماء في ورود فعيل بمعنى مفعول يقلص من الفرق بينهما ويجعل دائرة الفرق بينهما ضيقة جدا، وهذا لا يعني أن الكلمتين مترادفتان، ولكن يبدو لي معنى لعله قد يكون صحيحا وهو:

وصف يعقوب عليه السلام بكظيم؛ لأنه قادر على الشكوى للآخرين ومع ذلك لم يفعل، فهو كاظم لما في صدره، وفعيل هنا بمعنى فاعل.

ووصف يونس عليه السلام بمكظوم، فهو ممتلئ الحزن، لكنه غير قادر على الشكوى للآخرين لعدم إمكان ذلك في تلك الحالة في بطن الحوت ، ومفعول هنا بمعنى فعيل.

واستخلص من ذلك: أن رتبة يعقوب أعلى من يونس في محنتيهما

عليهما السلام، والله تعالى أعلم.

المطلب الرابع: العدول عن البناء للفاعل إلى البناء للمفعول: نَبذ، ونُبذ.

جاء هذان الفعلان في سياق قصة يونس ﷺ في موضعين مختلفين، فقال تعالى في سورة الصافات: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [سورة الصافات: ١٤٥]، فورد الفعل مبنيا للمعلوم، بينما جاء الفعل مبنيا للمجهول في آية أخرى، قال تعالى: ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ [سورة القلم: ٤٩]، والسؤال لِمَ عدل عن المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول وكلتا الآيتين في سياق قصة يونس ﷺ؟ قبل الإجابة عن السؤال لابد من معرفة معنى النبذ في اللغة وما دلالة حذف الفاعل في سياق هذه الآية؟

جاء في المعاجم في معنى النبذ: أن النون والباء والذال أصلٌ صحيح يدلُّ على طرحٍ وإلقاء(١)، والنَّبْذُ: طَرْحُكَ الشيْءَ مِن يدِك أمامَك أَو وَرَاءَك، أَو عَامٌّ، فيقال: نَبَذَ الشيْءَ، إِذا رَمَاه وأَبْعَدَه(٢).

وقال الراغب: "النبذ: إلقاء الشيء وطرحه؛ لقلّة الاعتداد به، ولذلك يقال: نَبَذْتُهُ نَبْذَ النَّعْل الخَلِق، قال تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ [سورة الهمزة: ٤] واستعمال النّبذ في ذلك كاستعمال الإلقاء كقوله: ﴿فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة النحل: ٨٦]" (٣).

---

(١) مقاييس اللغة، ٥/٣٨٠.

(٢) تهذيب اللغة، الأزهري، ١٤/٣١٧، وتاج العروس من جواهر القاموس، ٩/٤٧٩.

(٣) مفردات الراغب، ص٧٨٨.

والذي يتلخص مما تقدم أن معنى النبذ الطرح والإلقاء مطلقا، إلا أن الراغب زاد قيدا آخر في التعريف وهو كون المنبوذ غير معتد به.

والحديث عن معنى النبذ في الآية لا يستقيم مع القيد الذي ذكره الراغب وهو قلة الاعتداد بالمطروح، وذلك أن الحديث هنا عن نبي من أنبياء الله اصطفاه واختاره من بين البشر فكيف نقول بأن النبذ يقتضي عدم الاعتداد به؟ لذلك لم يرتض الآلوسي قيد الراغب في بيان معنى النبذ بـ "قلة الاعتداد به" فقال: "والقيد الذي ذكره الراغب لا أرغب فيه فإنه عليه السلام وإن أبق وخرج من غير إذن مولاه واعتراه من تأديبه تعالى ما اعتراه فالرب عز وجل بأنبيائه رحيم وله سبحانه في كل شأن اعتداد بهم عظيم، فهو عليه السلام معتد به في حال الإلقاء وإن كان ذلك بِالْعَراءِ أي بالمكان الخالي عمَّا يغطيه من شجر أو نبت"[١].

ويؤيد ما ذهب إليه الآلوسي في رده على الراغب في بيان معنى النبذ أن جمهور أهل اللغة اكتفوا في بيان النبذ بالقول: إنه الطرح والإلقاء[٢]، ويؤيد هذا أيضا ما ورد في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال: "كان رسول الله ﷺ يلبس خاتما من ذهب، فنبذه، فقال: لا ألبسه أبدا. فنبذ الناس خواتيمهم"[٣]. فنبذه: أي ألقاه من يده[٤].

مما تقدم يمكن لنا أن نستنبط أن معنى النبذ الذي هو، الطرح والإلقاء، قد استعمل في سياقين، هما:

(١) روح المعاني، ١٢/١٣٩.

(٢) مقاييس اللغة، ٥/٣٨٠، وتهذيب اللغة، ٥/٦٥، ولسان العرب، ٣/٥١١.

(٣) صحيح البخاري، ٥/٢٢٠٣، كتاب اللباس، باب خاتم الفضة رقم (٥٥٢٩).

(٤) ينظر: لسان العرب، ٣/٥١١.

الأول: سياق اللوم.

الثاني: سياق عدم الرضا.

فأما النبذ المستعمل في سياق اللوم فمثاله نبذ يونس عليه السلام والدليل عليه قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [سورة الصافات : ١٤٢].

فهذا يدل على أن نبذه فيه نوع من لوم الله تعالى له، بل القصة نفسها كلها في سياق محنة يونس عليه السلام بسبب منه وليس من غيره، ويؤكد ذلك أن الله تعالى نهى نبينا عليه الصلاة والسلام أن يكون مثل صاحب الحوت فقال سبحانه: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [سورة القلم: ٤٨].

وأما النبذ في سياق عدم الرضا فمثاله قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [سورة الأنفال: ٥٨] ولا أدل من ذلك من اتباعه بقوله: (لا يحب). ونحو هذا المعنى ورد في الحديث أعلاه.

ومما لا ريب فيه أن حذف الفاعل في العربية له أغراض منها: أغراض لفظية، كالسجع وإقامة النظم، ومنها معنوية، كأن يحذف الفاعل للجهل به، أو للعلم به، أو لا يتعلق غرض بذكره، أو يحذف للخوف منه، أو الخوف عليه، أو بقصد إبهامه، أو للتعظيم أو مناسبة السياق(١).

والسؤال هنا أي الأغراض السابقة هي أقرب لتعليل حذف الفاعل في آية القلم؟ وما دلالة ذكر الفاعل في آية الصافات؟

(١) ينظر: أسرار العربية، أبو البركات الأنباري، ص٩٥، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام، ٢/١٣٥ – ١٣٧.

نقول: لقد ذُكر الفاعل –وهو الله تعالى– في سورة الصافات وأُبهم في سورة القلم، وإسناد فعل النبذ لله تعالى مجازي كما يرى بعضهم؛ لأن حقيقة النبذ من فعل الحوت، قال الآلوسي: قوله تعالى: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ﴾، بأن حملنا الحوت على لفظه فالإسناد مجازي(١)، وسبب هذا المجاز بيان أن فعل المخلوق هو مخلوق لله تعالى أيضًا.

والجواب عن أسباب حذف فاعل النبذ في سورة القلم مع التصريح به في سورة الصافات له احتمالات عدة:

أولها: اختلاف السياق في السورتين فالخطاب في سورة القلم موجه للنبي ﷺ فقد نهاه الله أن يكون مثل يونس عليه السلام في عدم صبره على أذى قومه ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [سورة القلم: ٤٨]، وفي مستهل سورة القلم كان الثناء على رسول الله ﷺ ظاهرا، وأعظم هذا الثناء قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم: ٤]، فاقتضى السياق عدم إظهار فاعل النبذ وهو الله تعالى تلطفا في الخطاب مع رسول الله ﷺ؛ وكذلك مع يونس عليه السلام؛ لأن النعمة تداركته، فلما كان ذكر محمد ﷺ حاضرا ونعم الله قد تداركت أنبياءَهُ احتيج إلى حذف الفاعل وعدم التصريح به؛ مراعاة لخطاب النبي ﷺ، وكذا بفضل هذه النعمة التي منعت نبذ يونس عليه السلام بالعراء وهو مذموم، وجاء الاصطفاء من الله لنبيه يونس عليه السلام ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [سورة القلم: ٥٠]، ومن لطائف هذه الآية الكريمة مجيء تنكير (نعمة) للتعظيم؛ لأنها نعمة مضاعفة مكررة.

ثانيها: أن الحديث في سورة القلم لم يكن من أغراضه بيان فاعل النبذ وليس ثمة حاجة للذكر؛ للعلم به، أو لعدم الحاجة لذكره مطلقا، إنما غاية

(١) روح المعاني، ١٣٩/١٢.

الأمر أن الآية جاءت لتؤكد أن يونس عليه السلام لم يطرح مذموما فحذف الفاعل للعلم به هنا.

ثالثها: ويحتمل – والله تعالى أعلم– أن الله تعالى أسند النبذ لنفسه سبحانه في سورة الصافات؛ لأن النبذ في هذه الآية جاء مصحوبا بوصف السقم والمرض للمطروح، ولا ضير في إطلاق السقم أو المرض على الأنبياء بدليل قوله تعالى: ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ [سورة الصافات: ٨٨ – ٨٩]، أما حذف فاعل النبذ من سورة القلم فقد احتاج إليه السياق لما جاء النبذ مصحوبا بوصف "مذموم" للمطروح، ومن باب تنزيه اسم الرب سبحانه عن نسبة فعل المكروه إليه تأدبًا لم يصرح بالفاعل حتى لا يرتبط الذم باسمه سبحانه، كما جاء في قول إبراهيم عليه السلام ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [سورة الشعراء: ٨٠]، لما كان المرض مكروها للنفوس نزه الباري عن نسبة الفعل إليه مع أن الأحوال والأقدار كلها لا تجري إلا بعلمه وإرادته سبحانه وحكمته.

رابعها: يحتمل أن حذف فاعل النبذ جاء من باب الاختصار والايجاز في سورة القلم؛ لأن السورة لم تفصل قصة يونس عليه السلام أصلا، وإنما جاء السياق في أمر النبي ﷺ، وأما سورة الصافات فقد جاء السياق بتفصيل قصة يونس عليه السلام حيث ذكر قصته كاملة، فناسب الذكر مع التفصيل، والحذف مع الاختصار والإيجاز.

ومن لطائف ما قيل في هذه الآيات قول أبي البقاء الكفوي في قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ [سورة الصافات: ١٤٣]، و﴿ لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴾ [سورة القلم: ٤٩]، فإن الآية الأولى في قوة لو انتفى

التسبيح لثبت اللبث، والثانية في قوة لو انتفت النعمة لثبت النبذ(١).

والأقرب من هذه الاحتمالات إلى الصواب -والله أعلم-، أن النبذ لما جاء مصحوبا بالسقم ذكر الفاعل؛ لأن المرض الجسدي ليس عيبا، ولما جاء النبذ مصحوبا بوصف الذم حذف الفاعل؛ لأن لفظ "مذموم" معيب، فلا ينسب الى الله تعالى تأدبا، وقد قال الله تعالى في سورة الكهف عن الخضر عليه السلام، ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ [سورة الكهف: ٧٩]، فنسب العبد الصالح العيب لنفسه مع أن الآمر له هو الله تعالى؛ تأدبا مع الله تعالى.

وكذا في سورة الجن قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [سورة الجن : ١٠]، فأظهر الجن لفظ الفاعل عند ذكر الخير، وأخفوه عند ذكر الشر، وقد ذكر المفسرون أن هذا من أدب الجن مع ربهم(٢).

المطلب الخامس: العدول عن التأنيث إلى التذكير: تداركته، تداركه.

قال تعالى: ﴿ لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴾ [سورة القلم: ٤٩]، فقد ذكَّر الله تعالى: "نعمة" بقوله: "تداركه" مع أن لفظ النعمة مؤنث.

وفي هذا لفتة لغوية ونحوية من لفتات القرآن الكريم. فقد قرأ ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم:"تداركته"(٣)، وذلك مثل قوله: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا

(١) الكليات، ص١٢٥٩.

(٢) ينظر: حاشية ابن المنير السكندري بهامش الكشاف: ٦٢٥/٤.

(٣) معاني القرآن، للفراء، ١٧٨/٣، والكشاف، والجامع لأحكام القرآن، ٢٥٣/١٨،

﴿ٱلصَّيْحَةُ﴾ [سورة هود: ٦٧]، وقوله تعالى ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [سورة هود: ٩٤]، في موضع آخر؛ لأن النعمة اسم مؤنث مجازي ويجوز فيه التذكير والتأنيث(١)، فالفاعل إذا تقدم على فعله جاز مخالفته تذكيرا وتأنيثا، وكذلك إذا فصل بين الفعل وفاعله فاصل جاز تذكير الفعل وتأنيثه(٢)، وكذا إذا كان المؤنث غير حقيقي جاز تذكير الفعل(٣)، وكذا في حال الحمل على المعنى كما في قوله تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٥]، أي وعظ، وقوله سبحانه: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ﴾[سورة الأعراف: ٣٠]، أي العذاب. وكل هذه يمكن إجراؤها على النعمة وفعلها.

و"تَدارَكَهُ": فعل ماض مذكر حمل على معنى النعمة، فأسند الفعل دون علامة تأنيث؛ لأن تأنيث النعمة غير حقيقي و"تداركته" على لفظها(٤). واختلف في معنى النعمة فقيل: النبوة، وقيل: عبادته التي أسلفت، وقيل: رحمة من ربه(٥).

وإنما حسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه وهو "الهاء"(٦). وقال مكي القيسي: "وذكر تداركه؛ لأن النعمة والنعم بمعنى واحد فحمل على المعنى، وقيل: ذكر لأنه فرق بينهما بالهاء وقيل: لأن تأنيث النعمة غير

---

(١) ينظر: معاني القرآن، للفراء، ١٧٨/٣.

(٢) ينظر: اللمع في العربية، لابن جني: ص٣٢.

(٣) ينظر: الأصول في النحو: ١٠٢/٢.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ٢٥٣/١٨-٢٥٤، وإعراب القرآن، للنحاس: ١٧/٥.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، ٢٥٤/١٨.

(٦) الكشاف، ٥٩٦/٤، ومفاتيح الغيب، ٦١٧/٣٠.

حقيقي إذ لا ذكر لها من لفظها"[1].

ومن المسائل التي تستحق التنبه إليها مجيء الفعل في نجاة يونس عليه السلام بلفظ "تداركه" وهو يراد به الإحاطة بالشيء، فكان يونس عليه السلام محاطا إحاطة بالغة في العناية بنعمة الله تعالى.

(١) مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، ٧٥٢/٢.

المبحث الثاني: دقة انتقاء الألفاظ في قصة يونس عليه السلام

إن قراءة متأنية في قصة يونس عليه السلام تظهر لنا مدى الإعجاز القرآني في اختيار الألفاظ ودلالة استعمال الكلمة القرآنية مكان أخرى بحسب السياق الذي يقتضيه.

المطلب الأول: اختيار الأسماء: يونس، وذا النون، وصاحب الحوت.

استعملت هذه المفردات للدلالة على نبي الله يونس عليه السلام، ولكن في كل موضع من القصة نجد لفظة معينة لدلالة يقتضيها السياق، فيونس هو اسم النبي الذي أرسله الله تعالى إلى أهل نينوى وهي موضع في شمال العراق(١)، وقد صرح باسمه واسم أبيه رسول الله ﷺ: فقال: (لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى)(٢).

وجاء ذكر اسمه الصريح في قصة سورة الصافات بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الصافات: ٣٩]، على الأصل وتبعا لسياق ذكر الأنبياء السابقين، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ [سورة الصافات: ٨٣]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الصافات: ١٢٣]، وقال: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الصافات: ١٣٣]، ثم ختم القصص بيونس عليه السلام.

---

(١) وهي ثاني أكبر مدينة في العراق بعد بغداد وتسمى الموصل حاليا.

(٢) صحيح البخاري، ١٢٤٤/٣ ،كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: (وهل أتاك حديث موسى)، رقم الحديث (٣٢١٥).

وأما (ذو النون) و (صاحب الحوت) فهما لقبان ليونس عليه السلام، وأما الفرق بين اللقبين فهو أن "ذا" أعظم من صاحب، وذو النون أي من له شأن الحوت وقصته، وأما معنى صاحب فهو الذي يصحب غيره أي يكون معه في معظم الأحوال وإطلاقه على يونس؛ لأن الحوت التقمه، ثم قذفه فصار صاحب الحوت لقبا له، فـ"ذو" تفيد تعظيم الموصوف بها غالبًا، ولذلك في مقام المدح، قال:﴿ وَذَا ٱلنُّونِ ﴾ وفي مقام النهي عن متابعته في الاستعجال وعدم التحمل على قومه قال: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [سورة القلم: ٤٨].

واستعمال "ذو" في الكلام أشرف وأبلغ من معنى "صاحب"، ولذا وصف الله تعالى نفسه بـ"ذو" المضافة إلى صفاته العلية، فقال: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [سورة الرحمن: ٢٧]، وأضافها إلى مخلوقاته العظيمة كالعرش، فقال جل وعلا: ﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴾ [سورة البروج: ١٥]، ووصف صالحي خلقه بها من أنبياء وصالحين فوصف به يونس وذا الكفل وذا القرنين. ومما يزيد هذا بيانا أن الوصف المضاف إلى "ذي" يكون أبلغ من التجرد عنها، قال الزركشي في برهانه: وإنما وضعت وصلة إلى وصف الأشخاص بالأجناس كما أن "الذي" وضعت وصلة إلى وصف المعارف بالجمل وسبب ذلك أن الوصف إنما يراد به التوضيح – أي في المعارف– والتخصيص – أي في النكرات– والأجناس أعم من الأشخاص فلا يتصور تخصيصها لها فإنك إذا قلت مررت برجل علم أو مال أو فضل ونحوه لم يعقل ما لم يقصد به المبالغة فإذا قلت بذي علم صح الوصف وأفاد التخصيص(١).

(١) ينظر: البرهان للزركشي، ٤/٢٧٧.

ونقل الثعالبي عن السهيلي قوله في التفريق بين هذه المعاني فقال: لما ذكر اللَّه تعالى يُونُسَ هنا في معرض الثناء، قال: (وَذَا النون)، وقال في الآية الأخرى: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾، والمعنى واحدٌ، ولكن بين اللفظين تفاوتٌ كثير في حسن الإشارة إلى الحالتين، وتنزيلُ الكلام في الموضعين والإضافة بذي أشرف من الإضافة بصاحب؛ لأنَّ قولك: ذو يضاف بها إلى التابع، وصاحبُ يُضَافُ بها إلى المتبوع [(١)]. تقول: أبو هريرة صاحب النبي ولا تقول: النبي صاحب أبي هريرة إلا على وجه ما، وأما ذو فإنك تقول فيها ذو الملك وذو الجلال وذو العرش وذو القرنين فتجد الاسم الأول متبوعا غير تابع[(٢)].

ومما تقدم نقول إنّ توجيه الزركشي بأن (ذو) تستعمل لوصف الأعلام بالأجناس حسنٌ فقد ميزها عن (صاحب) التي تضاف إليه وإلى غيره، تقول: زيد صاحب مالٍ، وصاحب خالدٍ، ثم إن (ذو) تدل على الملك غالبا، بعكس (صاحب) التي تدل على الصحبة، ومن ثم فإن معنى (صاحب) ناسب سياقه إذ النداء كان وقت المصاحبة بين يونس والحوت –والله تعالى أعلم–.

وأما الفرق بين (نون) و (الحوت) فغالب المفسرين ذكروا أن نونا معناه الحوت، إلا أني وقفت على بعض الفروق منها ما ذكره الزركشي إذ قال: "ولفظ النون أشرف لوجود هذا الاسم في حروف الهجاء في أوائل السور نحو: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ [سورة القلم: ١]، وقد قيل إن هذا قسم بالنون والقلم وإن لم يكن قسما فقد عظمه بعطف المقسم به عليه وهو القلم

(١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي، ١٣/٣، والكليات، ص٧٢٤.

(٢) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ٢٧٩/٤.

وهذا الاشتراك يشرف هذا الاسم وليس في الاسم وليس في اللفظ الآخر وهو الحوت ما يشرفه"(١).

وهذا التوجيه من الزركشي، وإن كان متكلفاً، لا نرتضيه في إبداء الفرق بين الاسمين، ولكنا أشرنا إليه؛ لأننا نستشعر كما شعر الزركشي وغيره من الأئمة بأن ثمة فرقاً دقيقاً بين الاسمين، وإن لم نوفق في إدراكه فلا أقلّ من التنبه على وجوده.

المطلب الثاني: اختيار سقيم على مريض

قال تعالى في وصف يونس عليه السلام: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [سورة الصافات: ١٤٥]، فاستعمل لفظ السقم في نبذ يونس عليه السلام من بطن الحوت ولم يستعمل لفظ المرض، فلِمَ قال: ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ ولم يقل (وهو مريض)؟

وقبل الإجابة عن هذا السؤال لابد أن نقف على أصل هاتين اللفظتين حتى نتلمس روعة الأسلوب القرآني لكل منهما. فقد وردت لفظة "السقم" في القرآن مرتين، مع إبراهيم ويونس – عليهما السلام–، ففي سورة الصافات، قال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾ [سورة الصافات: ٨٨ – ٨٩]، وقال سبحانه عن يونس في السورة نفسها: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾.

أما لفظ (المرض)، فقد ورد في القرآن (١٨) مرة، منها (١٣) مرة جاءت مع المنافقين والكفار، و(٥) مرات في سياق الكلام عن المرض الذي يصيب الانسان في الصوم أو في الحج أو غيرهما.

(١) البرهان في علوم القرآن: ٤/٦٣.

قال ابن فارس في معنى "السقم": السين والقاف والميم أصلٌ واحد، وهو المرض: يقال سُقْمٌ وسَقَمٌ وسَقامٌ، ثلاثُ لغات(١). وقال الراغب: السَّقَمُ والسُّقْمُ: المرض المختصّ بالبدن. والمرض قد يكون في البدن وفي النّفس، نحو: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [سورة البقرة: ١٠] (٢).

وثبت عن أنس ﷺ قال: "كان رسول الله ﷺ يقول: اللهم إني أعوذ بك من البرص والجنون والجذام، ومن سيئ الأسقام"(٣).

وعلى هذا يكون معنى الآية في قوله تعالى: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾، السقم الجسدي أي بلي لحمه وصار ضعيفا كالطفل المولود كالفرخ الذي ليس عليه ريش(٤). ونقل الماوردي عن ابن مسعود ﷺ قوله في معنى السقم: أن يونس ﷺ ضعف بعد القوة، ورق جلده بعد الشدة(٥).

وقيل: في معنى سقم إبراهيم ﷺ: أي سأسقم فلا أقدر على الغدوّ معكم. هذا الذي أوهمهم بمعاريض الكلام، ونيّته أنه سقيم غدا لا محالة، لأن من كانت غايته الموت ومصيره إلى الفناء فسيسقم(٦). وقال الزمخشري: أي مشارف للسقم وهو الطاعون(٧).

---

(١) مقاييس اللغة: ٨٤/٣.

(٢) مفردات الراغب، ص٤١٥.

(٣) مسند الإمام أحمد، ٣٠٩/٢٠، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، والمصنف لابن أبي شيبة، ١٨٨/١٠، وغيرهما ورجاله ثقات.

(٤) مفاتيح الغيب، ٣٥٨/٢٦.

(٥) النكت والعيون، ٦٨/٥.

(٦) تأويل مشكل القرآن، ص٢٠٢.

(٧) الكشاف، ٤٩/٤. وثبت في الصحيح عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه و =

وقال الراغب في معنى المرض: الْمَرَضُ: الخروج عن الاعتدال الخاصّ بالإنسان، وذلك ضربان:

الأوّل: مَرَضٌ جسميٌّ، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [سورة النور: ٦١]، ﴿وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ﴾ [سورة التوبة: ٩١].

والثاني: عبارة عن الرّذائل كالجهل، والجبن، والبخل، والنّفاق، وغيرها من الرّذائل الخلقيّة. نحو قوله: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [سورة البقرة: ١٠]، ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ﴾ [سورة النور: ٥٠]، ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ﴾ [سورة التوبة: ١٢٥]. ، ويشبّه النّفاق والكفر ونحوهما من الرذائل بالمرض، إما لكونها مانعة عن إدراك الفضائل كالمرض المانع للبدن عن التصرف الكامل، وإما لكونها مانعة عن تحصيل

= سلم قال: لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات، ثنتين في ذات الله قوله: "إني سقيم"، وقوله: "بل فعله كبيرهم هذا" وواحدة في شأن سارة...الحديث. ينظر: صحيح مسلم: ٤/١٨٤٠ ، كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث: (٢٣٧١). وقيل في معنى الكذب في الحديث: أما الكذب فيما طريقه البلاغ عن الله عز وجل فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون عنه وأما في غيره فالصحيح امتناعه فيؤول ذلك بأنه كذب بالنسبة إلى فهم السامعين. أما في نفس الأمر فلا إذ معنى سقيم إني سأسقم؛ لأن الإنسان عرضة للأسقام أو سقيم بما قدر عليه من الموت أو كانت تأخذه الحمى في ذلك الوقت وأما فعله كبيرهم فيؤول بأنه أسند إليه؛ لأنه هو السبب لذلك أو هو مشروط بقوله: "إن كانوا ينطقون" أو يوقف عند لفظ فعله أي فعله فاعله وكبيرهم هو ابتداء الكلام. وأما سارة فهي أخته بالإسلام واتفق الفقهاء على أن الكذب جائز بل واجب في بعض المقامات. ينظر: عمدة القاري: ٢٣/٢١٥ – ٢١٦.

الحياة الأخرويّة[١]، ولا يمنع اجتماعهما لأن تحصيل الحياة الأخروية لا يكون إلا بإدراك الفضائل.

ومما تقدم تبين أن لفظ (السقم)، أليق بحال يونس عليه السلام؛ لأنه عندما خرج من بطن الحوت كان يعاني من ضعف الجسد والتعب فناسب ذلك، كما أن هذه اللفظة لم يستعملها القرآن إلا مع نبيين كريمين كما بينا.

والذي يبدو لي –والله تعالى أعلم– أن مجيء كلمة "سقيم" بدلا من "مريض" لجرسها اللفظي فبمجرد سماع هذا اللفظ يتصور حال يونس عليه السلام كيف كان سقيما لما خرج من بطن الحوت كالفرخ الممعط[٢]، ولأن السقم خاص بالجسد، وأما المرض فيشمل الجسد والنفس، وأنبياء الله تعالى موصوفون بصحة نفوسهم وعقولهم، وهم منزهون عن أمراض النفوس والقلوب ويؤيد ذلك قول الراغب الذي تقدم ذكره.

المطلب الثالث: اختيار الغم على الكرب.

ورد لفظ (الكرب) في القرآن أربع مرات[٣]، منها اثنتان مع نوح، ومرة مع موسى –عليهما السلام–ومرة جاء فيما منَّ الله به على العباد من الإنجاء من الكرب والهم في قوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ [سورة الأنعام: ٦٤]، وفي ثلاثة مواطن جاء وصف الكرب بـ (العظيم)، قال تعالى: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [سورة الأنبياء: ٧٦]، ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ

(١) المفردات، ص٧٦٥.

(٢) أي منتوف الريش. ينظر تهذيب اللغة: ٢/١١٤.

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، عبد الباقي: ص٦٠٢.

﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [سورة الصافات: ٧٥ – ٧٦]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝١١٤ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [سورة الصافات: ١١٤ – ١١٥]، أما لفظ (الغم) فورد سبع مرات[١] منها مع يونس ومع موسى ومع نوح ومع أصحاب رسول الله ﷺ في معركة أحد وغيرها من المواطن.

وإذا أردنا أن نقف على سبب ورود هاتين اللفظتين كل في موطنها يجب علينا أن نعرف معناهما اللغوي.

قال ابن فارس: "كرب" الكاف والراء والباء أصلٌ صحيح يدلُّ على شِدَّةٍ وقُوّة. يقال: مَفاصِلُ مُكْرَبَةٌ، أي شديدةٌ قويةٌ[٢]. وقال الراغب: الكَرْبُ: الغمّ الشّديد. قال تعالى: ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [سورة الأنبياء:٧٦.][٣]، وقيل: الكَرْبُ: الشّدَّةُ المُوجِبَةُ لِلْحُزْنِ وأَلَمِ الجسدِ والنفسِ[٤].

وقال أبو البقاء الكفوي: والكربة أشد الحزن والغم، ويقال الكربة حزن يذيب القلب أي يحيره ويخرجه عن أعمال الأعضاء[٥]. وقال العسكري: الكرب تكاثف الغم مع ضيق الصدر ولهذا يقال لليوم الحار يوم كرب أي كرب من فيه وقد كرب الرجل وهو مكروب وقد كربه إذا غمه وضيق صدره[٦].

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ص٥٠٥.

(٢) مقاييس اللغة، ٥/١٧٤.

(٣) المفردات، ص٧٠٦.

(٤) تفسير غريب القرآن، كاملة الكواري ص٦٤.

(٥) الكليات، ص١٥٣٩.

(٦) الفروق اللغوية، ص١٨٥.

وأما معنى "الغم" فقال صاحب اللسان: "الغمُّ" واحد الغُمُومِ، والغَمُّ والغُمَّةُ الكَرْبُ[(١)]، وقال الراغب: الغَمُّ: ستر الشيء، ومنه: الغَمَامُ لكونه ساترا لضوء الشمس. يقال غم وغُمَّةٌ. أي: كرب وكربة[(٢)]. والغم: هو شيء يَغْشى القلب[(٣)].

وقال العسكري: قيل: الغم: ما لا يقدر الانسان على إزالته كموت المحبوب قلت: ويؤيده قوله تعالى في وصف أهل النار: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ [سورة الحج: ٢٢]، فإنهم لم يكونوا قادرين على إزالة ما بهم من العذاب[(٤)]. وقد يوصف الغمّ بأنه عقدة على القلب[(٥)].

وأما "الغم" الذي صاحب يونس ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّ ﴾[سورة الأنبياء: ٨٨]، فقد قال فيه: يحتمل وجهين: أحدهما: من الغم بخطيئته. الثاني: من بطن الحوت؛ لأن الغم التغطية[(٦)].

والذي يظهر من أقوال علماء اللغة في بيان معنى الكرب والغم أن الكرب هو أشد الغم؛ لأنه أعظمه، وهو عقدة في القلب تذيبه وتحير الإنسان وربما تهلكه وغير ذلك من المعاني.

أما الغم فيكون من تراكب الحزن والخوف من المكروه والضرر وهو

---

(١) لسان العرب، ٤٤١/١٢.

(٢) المفردات، ص٦١٤.

(٣) مقاييس اللغة، ٣٧٨/٤.

(٤) الفروق، ص٥٦٠.

(٥) المفردات، ص٧٠٦.

(٦) النكت والعيون، ٤٦٧/٣.

أمر مستور في القلب، فلما كانت محنة يونس على نفسه فقط فقد جاءت لفظة (الغم)، مناسبة لستره في بطن الحوت وتراكب الظلمات التي نادى فيها وانقطاع الحيلة في تلك المحنة، وانقباض قلبه وغيرها من المعاني.

ولما كانت محنة نوح عليه السلام عليه وعلى أهل الأرض على رأي من ذهب أن الطوفان كان على جميع الأرض كانت المحنة أعظم وأصعب فهي قلب لموازين الحياة في انهمار ماء السماء وخروج ماء الأرض فهو كرب للأرض بقوانينها مناسب لمعناها من كرب الأرض أي قلبها للزراعة وما حصل فيها، قال الرازي في معنى الكرب الذي وقع لنوح عليه السلام: "وفي تفسير الكرب وجوه:

أحدها أنه العذاب النازل بالكفار وهو الغرق وهو قول أكثر المفسرين.

وثانيها أنه تكذيب قومه إياه وما لقي منهم من الأذى.

وثالثها أنه مجموع الأمرين وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وهو الأقرب؛ لأنه عليه السلام كان قد دعاهم إلى اللَّه تعالى مدة طويلة وكان قد ينال منهم كل مكروه، وكان الغم يتزايد بسبب ذلك وعند إعلام اللَّه تعالى إياه أنه سيغرقهم وأمره باتخاذ الفلك كان أيضا على غم وخوف من حيث لم يعلم من الذي يتخلص من الغرق ومن الذي يغرق فأزال اللَّه تعالى عنه الكرب العظيم بأن خلصه من جميع ذلك وخلص جميع من آمن به معه"[1]. فناسبت كل كلمة سياقها والله تعالى أعلم.

(١) مفاتيح الغيب، ٢٢/١٦٣.

المبحث الثالث: معانٍ مشكلة في قصة يونس عليه السلام.

المطلب الأول: دلالة "أو" في قوله: ((أو يزيدون))

استشكل بعض المفسرين معنى "أو" في قوله تعالى في سورة الصافات: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧]، فظاهر الآية يوهم الشك والتردد في الإخبار عن عدد من أرسل إليهم نبي الله يونس عليه السلام. ولحل مشكل هذه الآية نقول: ذكر العلماء لـ "أو" معاني كثيرة، منها:

الأول: الشك. إذا كان المتكلم شاكا في الأمر، نحو قوله تعالى عن أصحاب الكهف: ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [سورة الكهف: ١٩](١).

الثاني: الإبهام. إذا كان المتكلم قاصدا الإبهام على المخاطب نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة سبأ: ٢٤]. والفرق بينهما أن الشك من جهة المتكلم، والإبهام على السامع.

الثالث: التخيير. نحو: تزوج هندًا أو أختها.

الرابع: الإباحة. نحو: جالس الحسن أو ابن سيرين. والفرق بينهما جواز الجمع في الإباحة، ومنع الجمع في التخيير.

الخامس: التقسيم. نحو: الكلمة اسم أو فعل أو حرف. وأبدل ابن مالك في كتابه التسهيل بالتقسيم التفريق المجرد، يعني من المعاني السابقة. ومثّله بقوله تعالى ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ [سورة النساء: ١٣٥]. قال: والتعبير عن هذا بالتفريق أولى من التعبير عنه بالتقسيم؛ لأن

(١) معاني النحو، فاضل السامرائي، ٣/٢١٨.

استعمال الواو فيما هو تقسيم أجود من استعمال أو(١). وعبر بعضهم عن هذا المعنى بالتفصيل(٢).

السادس: الإضراب، ومنه قول جرير:

ماذَا تَرَى في عِيَالٍ قَدْ بَرِمْتُ بِهِمْ ... لَمْ أُحْصِ عِدَّتَهُمْ إلاَّ بِعَدَّادِ
كانوا ثَمَانِينَ أو زَادُوا ثَمَانِيةً ... لَوْلاَ رَجَاؤُكَ قَدْ قَتَّلْتُ أَوْلاَدِي(٣)

والإضراب ذكره سيبويه في النفي والنهي، إذا أعدت العامل. كقولك: لست بِشْراً أو لست عَمْراً(٤)، ولا تضرب زيداً أو لا تضربْ عمراً. قال ابن عصفور: وزعم بعض النحويين أنها تكون للإضراب، على الإطلاق، واستدلوا بقوله تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾، وبقوله ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[سورة البقرة: ٧٤]. وقال: وما ذهبوا إليه فاسد. وقال ابن مالك: أجاز الكوفيون موافقتها "بل" في الإضراب، ووافقهم أبو علي وابن برهان(٥). وقال ابن جني: في قراءة أبي السِّمال ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا﴾ [سورة البقرة: ١٠٠]، بسكون واو "أوْ": أو هنا بمعنى بل(٦).

السابع: معنى الواو. كقول الشاعر:

جَاءَ الْخِلاَفَةَ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدَرًا ... كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرِ(٧)

(١) ينظر: شرح التسهيل، ٣/٢٢٠.
(٢) الجنى الداني، ص٢٢٨ – ٢٢٩.
(٣) ديوان جرير، ص١٥٦.
(٤) ينظر: الكتاب، لسيبويه، ٣/١٨٨.
(٥) ينظر: شرح التسهيل، ٣/٣٦٣. والجنى الداني، ص٢٢٩، وأوضح المسالك، ٢/٣٤٢.
(٦) ينظر: المحتسب، ١/٣٧١.
(٧) بيت لجرير بن عطية الخطفي، ديوانه، ص٢٧٥، وينظر: شرح ابن عقيل، ٣/٢٣٣، والجنى الداني، ص٢٣٠، ومغني اللبيب، ص٨٩، وفي رواية (نَالَ الْخِلاَفَةَ إِذْ كَانَتْ لَهُ قَدَرًا) ولا شاهد فيه على هذه الرّواية.

أراد: وكانت. فأوقع "أو" مكان الواو، لأمن اللبس. وإلى أنَّ "أو" تأتي بمعنى "الواو"، ذهب الأخفش والجرمي، واستدلا بقوله تعالى " أو يزيدون "، وهو مذهب جماعة من الكوفيين(١).

الثامن: معنى "ولا". ذكر بعض النحويين أن "أو" تأتي بمعنى "ولا" قال الشاعر:

لا وَجْدُ ثكلى كما وجدت، ولا وجْدُ عجولٍ أضلها رَبَعُ

أو وجدُ شيخٍ أضل ناقتهُ يومَ توافى الحجيجُ، فاندفعوا (٢)

أراد: ولا وجد شيخ.

وذكر ابن مالك أن "أو" توافق "ولا" بعد النهي، كقوله تعالى ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [سورة الإنسان: ٢٤]، وبعد النفي، كقوله تعالى ﴿أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ [سورة النور: ٦] (٣) قال المرادي: والتحقيق أن "أو" في قوله تعالى: "أو كفوراً" هي التي كانت للإباحة. فإن النهي إذا دخل في الإباحة استوعب ما كان مباحاً باتفاق(٤). وإذا دخل في التخيير ففيه خلاف:

ذهب السيرافي إلى أنه يستوعب الجميع، كالنهي عن المباح، وذهب ابن كيسان إلى جواز أن يكون النهي عن كل واحد، وأن يكون عن الجميع(٥).

---

(١) الجنى الداني، ص٢٣٠.

(٢) نسبه المبرد في كامله للشاعر مالك بن عمرو، ينظر: الكامل، ٦٦/٢، والعجول: الناقة الفاقدة ولدها، والربع: الفصيل.

(٣) ذكره ابن مالك في شرح التسهيل، ٢٢٢/٣ – ٢٢٣.

(٤) الجنى الداني، ص٢٣١.

(٥) ينظر: المصدر نفسه، ص٣٨. وذكر السمين الحلبي لـ"أو" خمسة معاني وزاد عليها =

وأما معنى "أو" وهو موضع البحث في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [سورة الصافات: ١٤٧]، فقد اختلف في توجيهها على ثلاثة أقوال:

الأول: أنَّ "أو" بمعنى "بل": قال الفراء: "أو" ههنا بمعنى: "بل" وهو قول مقاتل، والكلبي. وأحد قولي الزجاج، وأبي عبيدة[١]. وجاء في شرح الرضي على الكافية: وكذا في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾، أي: بل يزيدون، وإنما جاز الاضراب بـ "بل" في كلامه تعالى؛ لأنه أخبر عنهم بأنهم مائة ألف، بناء على ما يحزر الناس من غير تعمق، مع كونه تعالى عالما بعددهم وأنهم يزيدون، ثم أخذ تعالى، في التحقيق، فأضرب عما يغلط فيه غيره بناء منهم على ظاهر الحزر، أي أرسلناه إلى جماعة يحزرهم الناس مائة ألف وهم كانوا زائدين على ذلك[٢].

وضعف هذا النحاس فقال: وهذا خطأ عند أكثر النحويين الحذاق ولو كان معناه صحيحا لكان التقدير: وأرسلناه إلى أكثر من مائة ألف واستغنى عن ذكر "أو" أصلا[٣].

الثاني: أن "أو" بمعنى الشك من المخلوقين: قال الرازي: ظاهر قوله: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [سورة الصافات: ١٤٧]، يوجب الشك وذلك على الله

= الكوفيون اثنين فصارت معانيها سبعة، ينظر: الدر المصون، ١/١٦٧.

(١) ينظر: معاني القرآن، للفراء: ٢/٣٩٣، ومعاني القرآن وإعرابه، للزجاج: ٤/٣١٤، ومجاز القرآن: ٢/١٧٥.

(٢) شرح الرضي على الكافية، ٤/٣٩٦.

(٣) ينظر: معاني القرآن، ٦/٦١.

تعالى محال ونظيره قوله تعالى: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ [سورة المرسلات: ٦]، وقوله تعالى: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [سورة طه: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [سورة طه: ١١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [سورة النحل: ٧٧]، وقوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [سورة النجم: ٩]، وأجابوا عنه من وجوه كثيرة والأصح منها وجه واحد وهو أن يكون المعنى أو يزيدون في تقديركم بمعنى أنهم إذا رآهم الرائي قال هؤلاء مائة ألف أو يزيدون على المائة، وهذا هو الجواب عن كل ما يشبه هذا(١).

وقال المبرد، والزجاج، والأخفش: "أو" هنا على أصله، والمعنى: أو يزيدون في تقديركم إذا رآهم الرائي قال: هؤلاء مائة ألف، أو يزيدون، فالشك إنما دخل على حكاية قول المخلوقين إذ الشك على الله محال(٢).

ولم يرتض ابن جني أن معنى "أو" للإضراب بمعنى بل، وردَّ قول الفراء فقال: فأما قول الله سبحانه ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ فلا يكون فيه (أو) على مذهب الفراء بمعنى بل ولا على مذهب قطرب في أنها بمعنى الواو. لكنها عندنا على بابها في كونها شكا. وذلك أن هذا كلام خرج حكاية من الله –عز وجل– لقول المخلوقين. وتأويله: وأرسلناه إلى جمع لو رأيتموهم لقلتم أنتم فيهم: هؤلاء مائة ألف أو يزيدون(٣).

الثالث: "أو" بمعنى الواو: وهو أحد قولي الأخفش، وقطرب والجرمي وابن مالك وابن هشام وجماعة من الكوفيين(٤) أن "أو" هنا:

---

(١) مفاتيح الغيب، ٣٥٨/٢٦.

(٢) ينظر: المقتضب، ص٩٩، وفتح القدير، ٢١٦/٦.

(٣) الخصائص، ٤٦١/٢، والمحتسب، ٩٩/١، و ٢٢٦/٢.

(٤) ينظر: حاشية الصبان على شرح الشيخ الأشموني على ألفية الإمام ابن مالك، محمد بن =

معناها معنى الواو. وقد دل عليه القرآن الكريم في أكثر من موضع ومنه قوله تعالى: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾ [سورة هود: ٨٧]، قال الأخفش: ومعناه "أَنْ نَتْرُكَ وَأَنْ نَفْعَلَ في أَمْوالِنا ما نَشاءُ"[١]، وذهب نحوه الخازن[٢]، وقال الماتريدي: أن الألف في "أو" (صلة) – أي زائدة– ومعنى الآية: " وأن نفعل في أموالنا ما نشاء "[٣]، وقال ابن مالك في الالفية:

ورُبَّما عاقَبَتِ الواو إذا   لم يُلفِ ذو النطق للَبْسِ مَنْفَذَا[٤]

ورد ذلك الزجاج فقال: (أو) لا تكون بمعنى الواو، لأن الواو معناها الاجتماع، وليس فيها دليل أن أحد الشيئين قبل الآخر[٥]. ورد كلام الزجاج بأن مجيء "أو" بمعنى الواو كثير في اللغة والشعر، ومنه قول امرئ القيس في معلقته:

فظلَّ طُهاة اللّحمِ من بينِ مُنْضِجٍ   صَفيفَ شِواءٍ أوْ قَديرٍ مُعَجَّلِ[٦]

وقول الشاعر:

قومٌ إذا سمعوا الصَّريخَ رأيتَهم   مِن بَينِ مُلْجِمِ مُهْرِهِ أو سافِعِ[٧]

= علي الصبان الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، ط١، ١٤١٧ هـ –١٩٩٧م: ٢/٢٧، ومغني اللبيب، ص٩٢.

(١) معاني القرآن، للأخفش، ٢/٤٦.

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل، ٢/٤٩٩.

(٣) تأويلات أهل السنة، ٦/١٧٠.

(٤) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ٣/٢٣٣.

(٥) معاني القرآن وإعرابه، ٤/٣١٤.

(٦) ديوان امرئ القيس، ص٧.

(٧) ديوان عمرو بن معدي كرب، ص١٧.

وهناك معنى لطيف أورده العلامة ابن القيم في معنى "أو" في الآية قائلا: وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ [سورة البقرة: ٧٤]، وقوله ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [سورة الصافات: ١٤٧]، هو كالتنصيص على أن المراد بالأول الحقيقة لا المبالغة فإنها إن لم تزد قسوتها على الحجارة فهي كالحجارة في القسوة لا دونها وأنه إن لم يزد عددهم على مئة ألف لم ينقص عنها فذكر أو ههنا كالتنصيص على حفظ المائة الألف وأنها ليست مما أريد بها المبالغة"[(١)].

والذي يظهر لي أن "أو" بمعنى الواو أرجح الأقوال ويكون معنى الآية "ويزيدون" على مائة ألف، ومما يؤيد هذا القول ما نقل عن بعض الصحابة كابن عباس وأبي بن كعب وغيرهما، وما نقل عن بعض التابعين كسعيد بن جبير[(٢)] فقد أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس ﷺ في قوله "إلى مائة ألف أو يزيدون" قال: كانوا مائة ألف وبضعة وأربعين ألفا[(٣)]. وذهب ابن قتيبة إلى هذا القول، واستدل بقول الشاعر:

ألا فَالْبَثَا شَهْرَيْنِ أو نِصْفَ ثَالِثٍ ... إلَى ذاكُما ما غَيَّبَتْنِي غَيابِيَا[(٤)]

وقال: وهذا البيت يوضح لك معنى الواو: وأراد: قرى شهرين

(١) مدارج السالكين، ١/٣٢٠.

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري، ٢١/١١٥، والدر المنثور، ١٢/٤٨٣.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم، ١٠/ ٣٢٣١.

(٤) البيت لابن أحمر في ديوانه، ص١٧١، ينظر: المحتسب، ٢/٢٢٦، والخصائص، ٢/٤٦٠، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، ١١/٧٦.

ونصفٍ، ولا يجوز أن يكون أراد قرى شهرين بل نصف شهر ثالث[1]. ومن ثم ورود هذا المعنى في الشعر كثيرا كما مرَّ مع امرئ القيس والهلالي وغيرهما.

ومما يؤيد ذلك ويزيده بيانا ورود بعض القراءات الشاذة في قوله "أو يزيدون" من غير ألف، فقد قرأ أبيّ بن كعب، ومعاذ القارئ، وأبو المتوكل، وأبو عمران الجوني: "ويزيدون" من غير ألف[2]. وكذا قال الزمخشري حيث قال: إن الغرض من قوله: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ الوصف بالكثرة[3] –والله تعالى أعلم–.

المطلب الثاني: دلالة (مغاضبا) في قوله تعالى: (إذ ذهب مغاضبا)

استشكل بعض المفسرين معنى المغاضبة في هذه الآية ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ [سورة الأنبياء: ٨٧]. فقال بعضهم: إن يونس غاضب ربه، وقال بعضهم الآخر: إن يونس غاضب قومه، وقيل إنّه غاضب الملك، وبيان ذلك بمعرفة معنى المغاضبة من خلال الاطلاع على التفسير المعجمي لهذه المفردة وتوضيح دلالة الصيغة الصرفية.

إن لفظ "مغاضب" هو من غاضب، الرباعي المزيد بحرف الألف،

---

(١) ينظر تأويل مشكل القرآن: ١/٢٩٠ – ٢٩١.

(٢) ينظر: المحتسب: ٢/٢٢٦، وينظر: زاد المسير في علم التفسير، ٥/٢٢٢، الكشاف، ٤/٦٢، والمحرر الوجيز: ٤/٤٨٧.

(٣) الكشاف، ٤/٦٢.

والغضب في اللغة: يدلُّ على شدَّة وقُوّة[١]، وهو نقيض الرضا[٢]. وأما دلالة الصيغة الصرفية "مفاعل" اسم فاعل من الرباعي "فَاعَلَ" فهي تدل على المشاركة غالبا، ولكن قد لا تفيد المشاركة أحيانا. قال الأصبهاني: ومغاضب: اسم الفاعل من غاضب، و (فاعل) في غالب الأمر إنما يكون من اثنين. نحو: قاتلته وصارمته، إلا أنّ "مغاضبًا" هاهنا من باب: عاقبت اللص، وعافاه الله، وطارقت النعل. وما أشبه ذلك في أنّه من واحد[٣].

وقد اختلف المفسرون في معنى المغاضبة على أقوال:

القول الاول: أي إنما غضب يونس على قومه، وهو قول ابن عباس والضحاك. وعن الشعبي وعروة بن الزبير وسعيد بن جبير: أنه ذهب عن قومه مغاضبا لربه، إذ كُشف عنهم العذاب بعدما وعدهموه، ورجحه الطبري[٤].

فأما من فسر معنى المغاضبة: بأن يونس غضب على قومه: فقد زعموا أنهم قالوا ذلك استنكارا منهم أن يغاضب نبيّ من الأنبياء ربه، واستعظاما له فقالوا: إن من أغضب ربه فقد ارتكب كبيرة عظيمة[٥].

القول الثاني: إن معنى المغاضبة أي غاضب ربه: وقد اختلفوا في سبب ذهابه، فقال بعضهم: إنما فعل ما فعل من ذلك كراهة أن يكون بين

(١) مقاييس اللغة، ٤/٤٢٤.

(٢) لسان العرب، ١/٦٤٨.

(٣) إعراب القرآن، ص٢٤٢.

(٤) ينظر: جامع البيان، ١٨/٥١١، والجامع لأحكام القرآن، ١١/٣٢٩.

(٥) ينظر: جامع البيان، ١٨/٥١١، وتفسير السمعاني، ٣/٤٠٢.

قوم قد جربوا عليه الخلف فيما وعدهم، واستحيا منهم، ولم يعلم السبب الذي دفع به عنهم البلاء، وقال بعض من قال هذا القول: كان من أخلاق قومه الذين فارقهم قتل من جرّبوا عليه الكذب، عسى أن يقتلوه من أجل أنه وعدهم العذاب، فلم ينزل بهم ما وعدهم من ذلك(١).

القول الثالث: وقيل في معنى المغاضبة أنه غاضب الملك الذي كان حاكما في وقته.

وردّ ابن عادل القول الذي يقول: إنه غاضب ربه فقال: لا يجوز صرف هذه المغاضبة إلى الله تعالى، ووجب أن يكون المراد أنه خرج مغاضباً لغير الله، والغالب أنه إنما يغاضب من يعصيه فيما يأمره به، فيحمل على مغاضبة قومه، أو الملك، أو هما جميعاً ومعنى مغاضبته لقومه أنه غاضبهم لمفارقته لخوف حلول العذاب بهم(٢).

وقيل: إنه أوحى إليه أن العذاب نازل بهم بعد مدة فلما أشرفت المدة على الانقضاء آمنوا، فخرج غضبان من عدم تحقق ما أنذرهم به، فالمغاضبة حينئذ للمبالغة في الغضب؛ لأنه غضب غريب. وهذا مقتضى المروي عن ابن مسعود والحسن والشعبي وسعيد بن جبير، وروي عن ابن عباس أيضا. والوجه أن يكون "مُغَاضِباً"، حالا مرادا بها التشبيه، أي خرج كالمغاضب(٣).

ونصب مُغاضِباً على الحال وهو من المفاعلة التي لا تقتضي اشتراكا،

---

(١) ينظر: جامع البيان، ١٨/٥١٣، والكشف والبيان، ٦/٣٠١.

(٢) ينظر: اللباب، ١٣/٥٨٢.

(٣) ينظر: جامع البيان، ١٨/٥١٢، والتحرير والتنوير، ١٧/٩٥.

وكأنه استعمل ذلك هنا للمبالغة، وقيل: المفاعلة على ظاهرها فإنه عليه السلام غضب على قومه لكفرهم وهم غضبوا عليه بالذهاب لخوفهم لحوق العذاب. ودلت على هذا المعنى قراءة أبي شرف "مغضبا" اسم مفعول[١]، وهي قراءة شاذة[٢].

وقال النحاس معلقا على قول سعيد بن جبير أن يونس عليه السلام كان مغاضبا لربه: وربما أنكر هذا من لا يعرف اللغة وهو قول صحيح. والمعنى: مغاضبا من أجل ربه، كما تقول: غضبت لك أي من أجلك. والمؤمن يغضب لله عز وجل إذا عصي[٣]. وقال أبو حيان في معنى الآية: أن يكون معنى قولهم مُغاضِباً لربه أي لأجل ربه ودينه، واللام لام العلة لا اللام الموصلة للمفعول به[٤]. وقال الأخفش: انما غاضب بعض الملوك ولم يغاضب ربه[٥].

وقال ابن قتيبة في هذه الآية: يستوحش كثير من الناس من أن يلحقوا بالأنبياء ذنوبا، ويحملهم التنزيه لهم، صلوات اللّه عليهم، على مخالفة كتاب اللّه جلّ ذكره، فيلتمسوا لألفاظه المخارج البعيدة، كتأوّلهم في قوله تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا ﴾ [سورة الأنبياء: ٨٧]: إنه غاضب قومه! استيحاشا من أن يكون مع تأييد اللّه وعصمته وتوفيقه وتطهيره،

(١) ينظر: الكشاف، ١٣٢/٣، والدر المصون، ١٩٠/٨، وروح المعاني، ٨٠/٩.

(٢) الكشاف، ١٣١/٣.

(٣) ينظر: إعراب القرآن، ٧٧/٣.

(٤) البحر المحيط، ٤٦١/٧.

(٥) معاني القرآن، ٨/٣.

يخرج مغاضبًا لربّه. وقال: ولم يذهب مغاضبا لربّه ولا لقومه، لأنّه بعث إليهم فدعاهم برهة من الدّهر فلم يستجيبوا، ووعدهم عن اللّه فلم يرغبوا، وحذّرهم بأسه فلم يرهبوا، وأعلمهم أنّ العذاب نازل عليهم لوقت ذكره لهم، ثم إنه اعتزلهم ينتظر هلكتهم. فلما حضر الوقت أو قرب فكّر القوم واعتبروا، فتابوا إلى اللّه وأنابوا، وخرجوا بالمراضيع وأطفالها يجأرون ويتضرّعون، فكشف اللّه تعالى عنهم العذاب، ومتّعهم إلى حين(١).

والذي أراه أقرب للصواب في هذه المسألة – والله أعلم– قول ابن حزم: "وأما إخبار الله تعالى أن يونس ذهب مغاضباً، فلم يغاضب ربه قط، ولا قال الله تعالى إنه غاضب ربه. فمن زاد هذه الزيادة كان قائلاً على الله الكذب، وزائداً في القرآن ما ليس فيه. هذا لا يحل ولا يجوز أن يظن بمن له أدنى مسكة من عقل، أنه يغاضب ربه تعالى. فكيف أن يفعل ذلك نبيٌّ من الأنبياء؟ فعلمنا يقيناً أنه إنما غاضب قومه، ولم يوافق ذلك مراد الله عزّ وجلّ، فعوقب بذلك. وإن كان يونس عليه السلام لم يقصد بذلك إلا رضاء الله عزّ وجلّ"(٢).

المطلب الثالث: دلالة (نقدر) في قوله تعالى: (فظن ان لن نقدر عليه).

قال تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء: ٨٧]. والسؤال هل يصح أن يظن نبي بعدم قدرة الله تعالى عليه؟

(١) تأويل مشكل القرآن، ص٢٣٠.

(٢) الفصل في الملل والنحل، ٤/١٣.

نقل الثعلبي عن عطاء وسعيد بن جبير وكثير من العلماء أن معنى الآية هنا: فظن أن لن نضيق عليه. قال الحسن: هو من قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ ﴾[سورة الرعد: ٢٦]، أي يضيق. وقوله: ﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ ﴾ [سورة الطلاق: ٧]. قال القرطبي: وهذا الأشبه بقول سعيد والحسن(١).

وقال الشوكاني: قرأ الجمهور: "نَقدِر" بفتح النون وكسر الدال. واختلف في معنى الآية على هذه القراءة. فقيل: معناها: أنه وقع في ظنه أن الله تعالى لا يقدر على معاقبته. وقد حكي هذا القول عن الحسن وسعيد بن جبير، وهو قول مردود، فإن هذا الظنّ بالله كفر؛ ومثل ذلك لا يقع من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وقيل: هو من القدر الذي هو القضاء والحكم، أي فظنّ أن لن نقضي عليه العقوبة، قاله قتادة ومجاهد، واختاره الفراء والزجاج(٢)، مأخوذ من القدر وهو الحكم دون القدرة والاستطاعة.

ومما يؤيد ما قاله هؤلاء قراءة عمر بن عبد العزيز والزهري: "فظنّ أن لن نقدّر" بضم النون وتشديد الدال(٣) من التقدير. وحكى هذه القراءة الماوردي عن ابن عباس، ويؤيد ذلك أيضاً قراءة عبيد بن عمير وقتادة والأعرج: "أن لن يقدّر" بضم الياء والتشديد مبنياً للمفعول، وقرأ يعقوب وعبد الله بن أبي إسحاق والحسن: "يُقْدَر" بضم الياء وفتح الدال مخففاً مبنياً للمفعول(٤).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٣٣١/١١. وفتح القدير، ٧٣/٥.

(٢) معاني القرآن، للأخفش، ٨/٣، ومعاني القرآن، للفراء، ٢٠٤/٢.

(٣) ينظر: جامع البيان، ٣٨١/١٦، والمحرر الوجيز، ٤٦٩/٤.

(٤) فتح القدير، ٧٣/٥.

وقالت فرقة: الكلام بمعنى الاستفهام، أَي أفظن أن لن يقدر الله عليه، وحكى منذر بن سعيد أَن بعضهم قرأ: "أفظن" بالألف[1].

وقال أبو حاتم: ولم يدرِ الأخفش ما معنى "نَقْدِرَ"، وذهب إلى موضع القُدرة، إلى معنى: فظنّ أن يفوتنا، ولم يعلم كلام العرب حتى قال: إن بعض المفسرين قال: أراد الاستفهام: أفظنّ أن لن نقدر عليه؟ ولو علم أن معنى نقدر: نضيِّق، لم يَخْبِط هذا الخبط، ولم يكن عالماً بكلام العرب، وكان عالماً بقياس النحو[2].

وقال رد الأصبهاني على قول من قال لا يجوز تقدير همزة استفهام فقال: "وقدر بعض السلف حذف حرف الاستفهام، كأنّه قال: أفظن أنّ لن نقدر عليه، وأنكره علي بن عيسى، وقال لا يجوز حذف حرف الاستفهام من غير دليل عليه، وقال الأصمعي: ما حذفت ألف الاستفهام إلا وعليها دليل، وقد جاء حذفها على خلاف ما قال، أنشد النحويون لعمر بن أبي ربيعة:

ثم قالوا تُحبُّها قُلتُ بَهراً ... عَدَدَ النجمِ والحصَى والتُرابِ[3]

أي: أتحبها؟"[4].

وقال أبو حيان: "﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ [سورة الأنبياء: ٨٧]، أي نضيق عليه من القدر لا من القدرة، وقيل: من القدرة بمعنى أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ

(١) ينظر: المحرر الوجيز، ٤/٤٦٩.

(٢) تهذيب اللغة، للأزهري، ٩/٣٩، ولسان العرب، ٥/٧٤.

(٣) ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص٦٧.

(٤) إعراب القرآن، قوام السنة الأصبهاني، ص٢٤١.

الابتلاء"[١].

وقال ابن عاشور: "وعندي فيه تأويلان آخران وهما أنه ظن وهو في جوف الحوت أن الله غير مخلصه في بطن الحوت لأنه رأى ذلك مستحيلا عادة، وعلى هذا يكون التعقيب بحسب الواقعة، أي ظن بعد أن ابتلعه الحوت.

وأما نداؤه ربه فذلك توبة صدرت منه عن تقصيره أو عجلته أو خطأ اجتهاده، ولذلك قال: ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٨٧]، مبالغة في اعترافه بظلم نفسه، فأسند إليه فعل الكون الدال على رسوخ الوصف، وجعل الخبر أنه واحد من فريق الظالمين وهو أدل على أرسخية الوصف، أو أنه ظن بحسب الأسباب المعتادة أنه يهاجر من دار قومه، ولم يظن أن الله يعوقه عن ذلك إذ لم يسبق إليه وحي من الله"[٢].

وقال ابن قتيبة: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾، أي لن نضيّق عليه، وأنّا نخلّيه ونهمله. والعرب تقول: فلان مقدّر عليه في الرزق، ومقتّر عليه، بمعنى واحد، أي مضيّق عليه[٣].

وقال العلامة السعدي: "﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾، وأنه ظنٌ عرضَ في الحال ثم زال، نظير الوساوس العارضة في أصل الإيمان التي يكرهها العبد حين ترد على قلبه، ولكن إيمانه ويقينه يزيلها ويذهبها ولهذا قال ﷺ عندما

(١) البحر المحيط، ٧/٤٦١.

(٢) التحرير والتنوير، ١٧/٩٧.

(٣) تأويل مشكل القرآن، ص٢٣٣، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ص١٢٤٣.

شكا إليه أصحابه هذه الحال التي أقلقتهم، مبشراً لهم: "الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة"[1]، وأخبرهم قائلا: "ذاك صريح الإيمان".

ويشبه هذا: العوارض التي تعرض في إرادات الإيمان لقوة وارد من شهوة أو غضب، وأن المؤمن الكامل الإيمان قد يقع في قلبه همٌّ وإرادة، لفعل بعض المعاصي التي تنافي الواجب ثم يأتي برهان الإيمان، وقوة ما مع العبد من الإنابة التامة، فيدفع هذا العارض"[2].

ومما تقدم يظهر لي أن معنى الآية كما قال الجمهور "فظن أن لن نضيق عليه"؛ لأن الشك من الأنبياء معيب بحقهم وهم من أمروا بالإيمان بالله تعالى وبعظيم قدرته، وكذا تقدير الظن بهمزة الاستفهام الإنكاري بعيد؛ لأن معنى القدر هنا الضيق في اللغة فإذا أثبتت الهمزة خرج معناها إلى معنى آخر، وأما معنى التقدير فهو وجيه أيضا ويكون المعنى أيقن يونس أن الله تعالى لن يقدر عليه العقوبة –والله أعلم–. ومن هذا الباب حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه و سلم قال (كان رجل يسرف على نفسه فلما حضره الموت قال لبنيه إذ أنا مت فأحرقوني ثم اطحنوني ثم ذروني في الريح فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابا ما عذبه أحد فلما مات فعل به ذلك فأمر الله الأرض فقال اجمعي ما فيك منه ففعلت فإذا هو قائم فقال ما حملك على ما صنعت؟ قال يا رب خشيتك، فغفر له)[3]. ونقل الحافظ ابن حجر كلام الائمة في توجيه هذا الاشكال

---

(١) أخرجه أبو داود، ٤/٤٩٠ برقم: (٥١١٤) والنسائي، ٩/٢٤٨ برقم: (١٠٤٣٤) عن ابن عباس وصححه ابن حبان، ١/٣٦٠ برقم: (١٤٧).

(٢) القواعد الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن السعدي، ص١٣٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: ٣/١٢٨٣ ، كتاب الأنبياء، باب أم حسبت ان =

في لفظ (قدر) ومما قيل فيه توجيهه: " وإنما قيل إن معنى قوله: (لئن قدر الله عليَّ) أي ضيق وهي كقوله: ومن قدر عليه رزقه، أي ضيق"[١]. وهو الاشكال نفسه الوارد في هذه الآية.

المطلب الرابع: دلالة (وهو مليم) في إطلاقها على يونس عليه السلام، وعلى فرعون

قال تعالى في وصف يونس عليه السلام: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [سورة الصافات: ١٤٢]، وقال تعالى في وصف فرعون اللعين: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [سورة الذاريات: ٤٠]، فَلِمَ وصف الله نبيه يونس عليه السلام بـ "مليم" ووصف فرعون بالوصف نفسه؟ وهل هناك فرق بين مليم وملوم؟

والإجابة عن هذا السؤال تتطلب معرفة معنى اللوم في اللغة.

قال ابن فارس: (لوم) اللام والواو والميم كلمتانِ تدلُّ إحداهما على العَتْب والعَذْل، والأخرى على الإبطاء. فالأوَّل اللَّوْم، وهو العَذْل. تقول: لُمْتُه لَوْماً، والرّجلُ مَلوم. والمُلِيم: الذي يستحقُّ اللَّوْم. ويقال: إنَّ اللاَّمَةَ: الأمرُ يُلاَم عليه الإنسان. والكلمة الأخرى التلوُّم، وهو التمكُّث.[٢].

فاللوم: هو العذل، ولامَ لَوْماً ومَلاماً ومَلامةً فهو مَليمٌ ومَلومٌ، وألامَه ولَوَّمَه للمُبالغةِ. وألامَ: أتَى ما يُلامُ عليه أو صارَ ذا لائِمَةٍ[٣]. فـ "مليم" اسم

= أصحاب الكهف والرقيم، رقم الحديث (٣٢٩٤)، ومسلم في صحيحه: ٢١٠٩/٤ ، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، رقم الحديث (٢٧٥٦).

(١) فتح الباري: ٥٢٣/٦.

(٢) مقاييس اللغة، ٢٢٢/٥.

(٣) ينظر القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص١٤٩٦، ولسان العرب، ٥٥٧/١٢، وتاج =

فاعل من الفعل الرباعي المزيد بالهمزة، وقال ابن قتيبة في قوله تعالى "وهو مليم": أي: مُذْنِبٌ، قال الشاعر:

تَعُــدُّ مَعَــاذِراً لا عُــذْرَ فيهــا ... ومَـنْ يَخْـذُلْ أَخَـاهُ فَقَـدْ ألاَمَـا(١)

واللوم: عذل الإنسان بنسبته إلى ما فيه لوم(٢).

والمليم الذي أتى بما يلام عليه قال الشاعر:

وَكَـمْ مِـنْ مُليمٍ لَـمْ يُصَـبْ بمَلاَمَـةٍ ... ومُتَّبَـعٍ بالـذَّنْبِ لَـيْسَ لَـهُ ذنْـبُ(٣)

وقرئ، "مَلِيمٌ" بفتح الميم من لاَمَ يَلُومُ وهي شاذة جداً(٤)، إذ كان قياسها "مَلُومٌ"؛ لأنها من ذوات الواو كَمقُولٍ ومَصُوبٍ. قيل: أخذت من ليم على كذا مبنياً للمفعول ومثله في ذلك: شِيب الشيءُ فهو مَشيبٌ ودُعِيَ فهو مُدْعِيٌّ والقياس مَشُوبٌ وَمدعوٌّ لأنهما من يَشوب ويَدْعُو(٥).

وقيل في معنى "مليم" أي مكتسب اللوم، يقال: قد ألام الرجل، إذا أتى ما يلام عليه من الأمر وإن لم يلم، كما يقال: أصبح محمقا معطشا: أي عنده الحمق والعطش، ومنه قول لبيد:

= العروس، ٣٣/٤٤٤.

(١) ينظر: الكامل في اللغة والأدب، ١/٢٨٢، ونسبه المبرد لأم عمير، والصحاح، للجوهري، ٥/ ٢٠٣٤، وتاج العروس، ٣٣/٤٤٥.

(٢) مفردات الراغب، ٣/٣٨٦.

(٣) وهو بيت منسوب للأحوص الأنصاري، ينظر: شعر الأحوص الأنصاري، جمعه وحققه: عادل سليمان، ص٢٦٤، والأمالي في لغة العرب، لأبي علي القالي، ١/١٧.

(٤) ينظر: الكشاف، ٤/٦٣، والبحر المحيط: ٧/٣٥٩، وروح المعاني، ٢٣/١٤٤.

(٥) اللباب، ابن عادل، ١٦/٣٤٣.

سَـفَهاً عـذلتِ ولُمـتِ غيـر مُلـيم   وهـداكِ قبـل اليـوم غيـر حَكـيم[1]

وفرَّق بعض المفسرين بين وصف نبي الله يونس بـ "مليم" ووصف فرعون بالوصف نفسه، فقالوا في حق يونس عليه السلام: وكان ما فعله إما صغيرة أو ترك الأَوْلى[2]. وأما فرعون فكان فعله الكفر ودعوى الربوبية، وتكذيب الرسول فكان مليما مذنبا وذنبه الشرك[3]، فلا يستويان بالفعل لما تقدم.

ولعل سائلا يقول: كيف وصف نبي اللّه يونس عليه السلام بما وصف به فرعون؟ قلت: موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم، فمرتكب الكبيرة ملوم على مقدارها، وكذلك مقترف الصغيرة. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ﴾ [سورة هود: ٥٩]، في حق قوم عاد، وقوله تعالى في حق آدم –عليه السلام– ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ [سورة طه: ١٢١]؛ لأنّ الكبيرة والصغيرة يجمعهما اسم العصيان، كما يجمعهما اسم القبيح والسيئة[4].

وقيل في معنى يونس عليه السلام "وَهُوَ مُلِيمٌ" أي داخل في الملامة على أن بناء "أفعل" للدخول في الشيء نحو "أحرم" إذا دخل الحرم، أو آتٍ بما يلام عليه على أن الهمزة فيه للصيرورة نحو: أغدَّ البعير –أي صار ذا غدة– فهو هنا لما أتى بما يستحق اللوم عليه صار ذا لوم، أو مليم نفسه على أن الهمزة فيه للتعدية نحو: أقدمته والمفعول محذوف، وما روي عن ابن عباس

---

(١) ديوان لبيد، ص٨١، وجامع البيان، ٥٧/٢٣، ولسان العرب، مادة "لوم".

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ٣٣٠/١١.

(٣) تفسير ابن زمنين، ١٩٦/٢.

(٤) ينظر: الكشاف، ٤٠٣/٤.

ومجاهد[١] من تفسيرهما "مليم" بالمسيء والمذنب فبيان لحاصل المعنى، وحسنات الأبرار سيئات المقربين[٢].

وأما معنى "مليم" في حق فرعون فقال الآلوسي: "وَهُوَ مُلِيمٌ" أي آت بما يلام عليه من الكفر والطغيان فالأفعال هنا للإتيان بما يقتضي معنى ثلاثيه كـ"أغرب" إذا أتى أمرا غريبا، وقيل: الصيغة للنسب، أو الإسناد للسبب – وهو كما ترى – وكون الملام عليه هنا الكفر والطغيان هو الذي يقتضيه حال فرعون وهو مما يختلف باعتبار من وصف به فلا يتوهم أنه كيف وصف اللعين بما وصف به ذو النون عليه السلام[٣].

وأما الفرق بين مليم وملوم فهو أن "مليما": إذا أتى بما يلام عليه، وأما الملوم، فهو: اسم مفعول من الفعل الثلاثي: لام، وهو الذي يلام سواء أتى بما يستحق أن يلام عليه أم لا[٤]. وقيل الملوم: هو الذي يلام باللسان، ويعذل بالقول[٥].

وعلل الرازي مجيء وصف "مليم" مع فرعون ومع يونس عليه السلام بأن في هذا الوصف شرفا ليونس وبشارة للمؤمنين، أما شرفه فقد أتى بما يلام عليه بمجرد دعائه على قومه بالهلاك لما لم يؤمنوا فلم يكن للوم سبب غير هذا،

---

(١) ينظر: جامع البيان: ١٠٧/٢١.

(٢) روح المعاني، ١٣٧/١٢.

(٣) المصدر نفسه، ١٦/١٤.

(٤) ينظر: النكت والعيون، ٦٧/٥، والهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، ٦١٦١/٩، وفتح القدير للشوكاني، ٢١٧/٦.

(٥) معاني القرآن، للفراء، ٣٩٣/٢، وجامع البيان، ٦٢٦/١٩.

وأما وصف فرعون بـ "مليم" فلأنه قال: "أنا ربكم الأعلى" فكان سببه ذلك.

وأما بشارة المؤمنين فهو بسبب أن من التقمه الحوت وهو مليم نجاه اللّه تعالى بتسبيحه، فقال: ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [سورة القلم: ٥٠]، ومن أهلكه اللّه بتعذيبه لم ينفعه إيمانه حين قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة يونس: ٩٠]، فكان الجواب من الله: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٩١ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [سورة يونس: ٩١ – ٩٢][1].

وأما وصف فرعون بـ"مليم" فالسياق مختلف تماما، فقد كان الحال مع فرعون حال عقاب وعذاب فقال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [سورة الذاريات: ٤٠]، فكان الأخذ أخذ عذاب وأُسند الأخذ لله تعالى بصيغة التعظيم زيادة في التنكيل به، فأخذه مليما مذنبا كافرا، أما السياق مع يونس عليه السلام فكان مختلفا إذ أسند الله تعالى التقامه للحوت فقال: "فالتقمه الحوت وهو مليم" فما لبث حتى ألهمه الله التسبيح فأخرجه من بطن الحوت ومَنَّ عليه بنعمته. وبعبارة أخرى إن الصورة المشهدية لوصف "مليم" مع يونس في التقام الحوت ظاهره العقوبة وباطنه الحفظ، أما الصورة المشهدية لوصف فرعون فظاهره وباطنه العقوبة. والله أعلم.

---

(١) ينظر مفاتيح الغيب، ١٨٣/٢٨.

الخاتمة

الحمد لله على ما أعان وتمم وصلى الله وسلم على نبينا المكرم وعلى آله وصحبه أولي العزائم والهمم، ومن سار على دربهم بإحسان وشم. وبعد رحلة مع قصة من قصص القرآن الكريم نتتبع أسلوبها البياني ودقائق ألفاظها خرج بحثنا بالآتي:

١- إن ظاهرة العدول في بنية الكلمة في القصة القرآنية كان بارزا في قصة يونس عليه السلام، فقد ورد العدول في الصيغ الاسمية والفعلية فكان من روائع نظم القرآن في قصة يونس عليه السلام هذه الظاهرة الأسلوبية في الألفاظ كما في "كظيم و مكظوم" و"نُبَذ و نَبَذ"، وغيرهما من الألفاظ.

٢- إن أسلوب القرآن الكريم في إيراد القصة وتحولات هذه الألفاظ من موضع إلى آخر كان مقصودا وله دلالات فنية وبيانية أعطت رونقا وظلالا لفهم معاني جديدة لقصة يونس عليه السلام.

٣- إن قصة يونس عليه السلام تعد من القصص القصيرة مقارنة بغيرها من القصص إلا أن فيها رصفا للمباني وغزارة للمعاني وهي دليل من دلائل إعجاز القرآن في اختيار الالفاظ الجزلة للتعبير عن حال القصة.

٤- إن الوجه البياني من أظهر وجوه الإعجاز في كتاب الله تعالى؛ لذلك يجب على الباحثين الاهتمام ببيان أوجه الإعجاز القرآني عامة والإعجاز في القصص القرآني بخاصة.

٥- أثبت البحث أن نظرية السياق كان لها الأثر الواضح في دراسة دقائق الألفاظ.

٦- ثبت أن في القصص القرآني قد يرد في الظاهر تعارض بين نصين في

سياق قصة واحدة لكن سرعان ما يزول بمجرد تدبر الآية ومعرفة سياق كل منهما.

التوصيات:

١- تبني الباحثين دراسة مفردات قصص الأنبياء في القرآن الكريم من حيث بنية الكلمة في القصة مع مقابلة مثيلاتها من الألفاظ في المواضع الأخرى.

٢- تبني مشاريع بحثية تدرس مفردات القصة وكيفية انتقائها بحسب السياق.

٣- النظر والتأمل في مُشكل القصص القرآني، وإفراغ الجهد وبذل الوسع بحسب الطاقة للوصول إلى إيضاح المُشكل ودفع التعارض.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الاتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٣- أسرار العربية، أبو البركات عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد الأنباري (ت٥٧٧هـ)، تحقيق: فخر صالح قدارة، دار الجيل – بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

٤- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم: دراسة نظرية تطبيقية، التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠١م.

٥- إعراب القرآن، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (ت ٥٣٥هـ)، قدمت له ووثقت نصوصه: فائزة بنت عمر المؤيد، ط١، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م.

٦- إعراب القرآن، النحاس، أبو جعفر احمد بن محمد، (ت٣٣٨هـ)، تحقيق: زهير غازي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٠م.

٧- الأمالي في لغة العرب، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت٣٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

٨- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام جمال الدين عبد الله الأنصاري (ت٧٦١هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار

الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٩- البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م، ط١.

١٠- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي(ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعرفة – بيروت، ١٣٩١هـ.

١١- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، وعبد العليم الطحاوي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، ط١، ١٣٩٠هـ.

١٢- بلاغة الكلمة، فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان، ط٤، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

١٣- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون والشركة المصرية العالمية لنشر– لونجمان، ط١، ١٩٩٤م.

١٤- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي(ت١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٥- تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط٣، المكتبة العلمية، المدينة المنورة،١٤٠٠هـ – ١٩٨٢م.

١٦- تأويلات أهل السنة، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.

١٧- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م.

١٨- التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي (ت٧٤١هـ)، دار الكتاب العربي – لبنان، ط٤، ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م.

١٩- تفسير ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية – صيدا.

٢٠- تفسير ابن زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين(ت٣٩٩هـ) – تحقيق: عبد الله بن حسين عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز – ط١ – ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.

٢١- تفسير غريب القرآن، كاملة بنت محمد بن جاسم بن علي آل جهام الكواري، دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٨هـ.

٢٢- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت – ٢٠٠١م، ط١.

٢٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة

الرسالة، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ط١.

٢٤- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي(ت٦٧١هـ)، دار الشعب – القاهرة.

٢٥- الجنى الداني في حروف المعاني: الحسن بن قاسم المرادي (٧٤٩هـ)، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٢٦- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت ٨٧٥هـ)، تحقيق: محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٢٧- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣هـ)، تحقيق: محمد نبيل طريفي وإميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

٢٨- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب- بيروت.

٢٩- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، تحقيق أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

٣٠- الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الفكر – بيروت، ١٩٩٣م.

٣١- ديوان امرئ القيس، امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن

حجر، تحقيق: مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٥، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

٣٢- ديوان جرير، جرير بن عطية الخطفي، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

٣٣- ديوان عمرو بن أحمر الباهلي، جمع وتحقيق: حسين عطوان، مجمع اللغة العربية – دمشق.

٣٤- ديوان عمر بن أبي ربيعة، تحقيق: فايز محمد، طبعة دار الكتاب العربي.

٣٥- ديوان عمرو بن معدي كرب، عمرو بن معدي كرب الزبيدي، تحقيق: مطاع الطرابيشي، مجمع اللغة العربية بدمشق، ط٢، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٣٦- ديوان لبيد، لبيد بن ربيعة، اعتنى به حمدو طماس، دار المعرفة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ط١.

٣٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل محمود شكري الآلوسي (ت١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣٨- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، ط١، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق، ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤م.

٣٩- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

٤٠- سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي (ت٣٠٣هـ)، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١١ – ١٩٩١، ط١.

٤١- شرح التسهيل، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، جمال الدين محمد بن مالك، (ت٦٧٢هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، وطارق فتحي السيد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٤٢- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، بهاء الدين عبد بن عقيل العقيلي المصري الهمداني (ت٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر – سوريا – ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٤٣- شرح الرضي على الكافية، محمد بن الحسن الإستراباذي السمنائي الرضي (ت٦٨٦هـ)، تحقيق: حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي – يحي بشير مصطفى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

٤٤- الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط٤، ١٩٩٠م.

٤٥- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي(٣٥٤هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

٤٦- صحيح البُخاري، أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي، (ت٢٥٦هـ) تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ط٣،

بيروت. ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
٤٧- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٨- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني(٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٤٩- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
٥٠- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.
٥١- الفروق اللغوية، أبو هلال لعسكري (ت٣٩٥هـ)، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٢هـ.
٥٢- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة – بيروت.
٥٣- القواعد الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن السعدي (ت١٣٠٧هـ)، دار الرشد، ط١، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
٥٤- الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، ط٣، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م.
٥٥- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو

القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٥٣٨هـ)، تحقيق عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٥٦- الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش- محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
٥٧- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن (ت٧٤١هـ)، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٣٩٩ هـ-١٩٧٩م.
٥٨- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي (ت٨٨٠هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان – ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م، ط١.
٥٩- لسان العرب، لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط١.
٦٠- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير (ت٦٣٧هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت – ١٩٩٥م.
٦١- المحتسب في تبين وجوه القراءات والإيضاح عنها، لابن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: علي النجدي وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبي، القاهرة ١٩٦٦- ١٩٦٩م.

٦٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – لبنان، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٦٣- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٣ – ١٩٧٣م.

٦٤- مسند إسحاق بن راهويه، إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي (ت٢٣٨هـ)، تحقيق: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان – المدينة المنورة، ط١، ١٤١٢ – ١٩٩١م.

٦٥- مشكل إعراب القرآن، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ)، تحقيق حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

٦٦- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، (ت٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبد، شلبي، القاهرة ١٩٧٣-١٩٧٤م.

٦٧- معاني القرآن، أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ)، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٦٨- معاني القرآن، معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ) تحقيق: محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، دار

الكتب المصرية ١٩٥٥م.

٦٩- معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر ناشرون وموزعون، الأردن – عمان، ط٣، ٢٠٠٨م.

٧٠- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي (ت٩٦٣هـ)، طبع في المطبعة البهية المصرية سنة ١٣١٦ هـ.

٧١- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي (ت١٣٨٨هـ)، مطبعة دار الكتب المصرية – ١٣٦٤ هـ.

٧٢- مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (ت٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م، ط١.

٧٣- مفردات ألفاظ القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، دار القلم، دمشق.

٧٤- مقاييس اللغة، مقاييس اللغة، تأليف: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل – بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٧٥- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ)، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.

٧٦- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

٧٧- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (ت٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٧٨- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت٤٣٧هـ)، تحقيق: مجموعة من الطلبة في جامعة الشارقة، نشر مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م.

فهرس الموضوعات

المستخلص .... – ١٦٣ –

المقدمة .... – ١٦٤ –

مشكلة البحث:.. – ١٦٥ –

أهداف البحث:.. – ١٦٦ –

أسباب اختيار الموضوع: .... – ١٦٧ –

الدراسات السابقة:.. – ١٦٧ –

منهجية البحث: .... – ١٦٧ –

خطة البحث: .... – ١٦٨ –

المبحث الأول: العدول في بنية الكلمة في مفردات قصة يونس عليه السلام ....– ١٧٠ –

المطلب الاول: مفهوم العدول في البنية ....– ١٧٠ –

مفهوم العدول عند أهل البلاغة: ....– ١٧٢ –

المطلب الثاني: العدول عن صيغة (أفعل) إلى (فعّل): أنجى، ونجّى. ....– ١٧٥ –

المطلب الثالث: العدول عن صيغة (فعيل) إلى صيغة (مفعول): كظيم، ومكظوم – ١٧٧ –

المطلب الرابع: العدول عن البناء للفاعل إلى البناء للمفعول: نَبذ، ونُبذ........– ١٨١ –

المطلب الخامس: العدول عن التأنيث إلى التذكير: تداركته، تداركه. ....– ١٨٦ –

المبحث الثاني: دقة انتقاء الألفاظ في قصة يونس عليه السلام ....– ١٨٩ –

المطلب الأول: اختيار الأسماء: يونس، وذا النون، وصاحب الحوت. ....– ١٨٩ –

المطلب الثاني: اختيار سقيم على مريض .... – ١٩٢ –

المطلب الثالث: اختيار الغم على الكرب. .... – ١٩٥ –

المبحث الثالث: معانٍ مشكلة في قصة يونس عليه السلام. .... – ١٩٩ –

المطلب الأول: دلالة "أو" في قوله: ((أو يزيدون)) .... – ١٩٩ –

المطلب الثاني: دلالة (مغاضبا) في قوله تعالى: (إذ ذهب مغاضبا) .... – ٢٠٦ –

المطلب الثالث: دلالة (نقدر) في قوله تعالى: (فظن ان لن نقدر عليه). .... – ٢١٠ –

المطلب الرابع: دلالة (وهو مليم) في إطلاقها على يونس عليه السلام، وعلى فرعون..– ٢١٥ –

الخاتمة .... – ٢٢٠ –

التوصيات: .... – ٢٢١ –

المصادر والمراجع .... – ٢٢٢ –

فهرس الموضوعات .... – ٢٣٣ –